

بنو تافراجين
ودورهم في تاريخ الدولة الحفصية
(٦٤٧ - ٨٢٧ هـ / ١٢٤٩ - ١٤٢٤ م)

للدكتور
كمال السيد أبو مصطفى
أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
كلية العربية - جامعة الاسكندرية

أولية بنى تافراجين ،

لعبت بعض الأسر العريقة دوراً مهماً في تاريخ الدول الإسلامية، سواء في المشرق أو المغرب الإسلامي، ومن أمثلة ذلك: أسرة البرامكة في العصر العباسي الأول، والوزير بقر الجمالي وابنه الأفضل في العصر الفاطمي، وبنو عامر في عصر الدولة الأموية بالأندلس، وبنو عباد أصحاب إشبيلية في عصر دولات الطوائف، وغيرهم كثير.

وفي إفريقية (المغرب الأدنى) خلال العصر الحفصي (القرن ٥٧-٥١هـ/ ١٢-١٥م) اشتهرت العديد من الأسر العربية والبربرية، التي يرجع أصلها إما إلى الأندلس أو المغرب، ومن ذلك : بنو سيد الناس الإشبيليون وبنو أبي الحسين الأندلسيون (١١)، وبنو تافراجين (٢) البربر وغيرهم من البيوتات البارزة، التي أسهمت في تاريخ إفريقية السياسي والحضاري خلال عصر الدولة الحفصية.

أما بنو تافراجين - موضوع البحث - فهم من الأسر الموحدية البربرية الشهيرة، وأصلهم من بربر تينمل (٣)، الذين ينتمون إلى قبائل مضمودة بالمغرب الأقصى، ولع اسمهم منذ بداية عصر الموحدين أي مع ظهور دعوة الإمام

(١) راجع التفاصيل حول تلك الأسر الأندلسية ودورها في العصر الحفصي في بحثي: «الأندلسيون في تونس وإسهاماتهم الحضارية»، مجلة كلية الشريعة - جامعة الإسكندرية عام ١٩٩٢م.

(٢) وردت كلمة «تافراجين» في المصادر العربية في صيغ متعددة منها: تافراجين وتفرجين وتيفراجين وتفرأجين وتافراكين وتافركين.

(٣) تينمل (أو تمل أو تملل أو تامللت): حصن يقع بمنطقة جبل درن (أحد جبال أطلس) بهلاء السوس جنوب المغرب الأقصى. وهو حصن متيج صعب الارتفاع. ويذكر ابن خلدون أن قبائل المصامدة كثيرة بتلك المنطقة ومنهم هتاتة وتينمل ومرغة، ويضيف المراكشي أن الإمام المهدي بن تومرت اتخذ من حصن تينمل مركزاً له لحصانه ومناعته، ومنه قامت دعوته، وبه قبره. راجع التفاصيل حول وصف تينمل في: (مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب =

المهدي بن تومرت زعيم الحركة الموحدية في المغرب، حيث كان جدهم أبو حفص عمر بن تافراجين من أهل خسين (١)، وأحد أعوان المهدي في نشر دعوة الموحدين بين بربر تينملل، فقد قام ببايعته على رأس أهل بلده تينملل عند وصوله إليها في سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١ - ١١٢٢ م. (٢)

وفي عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي أول خلفاء الموحدين -

= الأمصار، لمحقق سعد زغلزل عبد الحميد، مطبعة جامعة الاسكندرية، ١٩٥٨، ص ٨. ٢.
المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لمحقق محمد سعيد العربي، القاهرة، ١٩٦٢ م.
ص ٢٥٤: ابن خلدون، العبر، ج ٦، طبعة بيروت ١٩٧٩، ص ٢٢٤: الحميري الروض العطار في خبر الأقطار، لمحقق إحسان عباس، ط ٢، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٢٨: عبد العزيز بن عبد الله الموسوعة المغربية للأعلام (معلمة المدن والقبائل) مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية، عام ١٩٧٧، ص ١٦٢: عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج ١، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٨ م، ص ٣٠٣-٣٢٤: دوجي لي تورنو، حركة الموحدين، ترجمة أمين الطيبي، النار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، ١٩٨٢، ص ٣٤-٣٥.

Basset et Terrasse, Sanctuaires et Forteresses almohades (collection Hesperis) Paris, 1932, pp.1-8

(١) أهل خسين (أو آيت خسين): صنف الإمام المهدي أصحاب طبقات، فجعل منهم العشرة أو أهل الجماعة، وهم المهاجرون الأوائل الذين أسرعوا إلى إجابته، أما أهل خسين فهم الطبقة الثانية، وكانت تتكون من خسين عضواً من عدة قبائل ساهمت في تأسيس حركة الموحدين في المغرب، ومنهم أهل تينملل، ويذكر المراكشي أن هذه الطبقات لا تجمعها قبيلة واحدة، بل هم من قبائل شتى. وكان المهدي يطلق عليهم اسم «المؤمنين». انظر (البليزق، أخبار المهدي بن تومرت، طبعة ليفي برونفسال، باريس ١٩٢٨، ص ٣٤: المراكشي، نفسه، ص ٢٥٢: ابن خلدون، نفسه، ج ٦، ص ٣٤٨: السلاوي الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج ٢، النار البيضاء، ١٩٥٤، ص ٨٥: هيكتز النظم الإسلامية في المغرب، ترجمة، أمين الطيبي، النار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، ١٩٧٧، ص ١٩٣-١٩٦).

(٢) البليزق، نفسه، طبعة برونفسال، ص ٣٤: السلاوي، نفسه، ج ٢، ص ٢٨٥: عبد الوهاب بن منصور، نفسه، ج ١، ص ٣٢٣: محمد الهادي العامري تاريخ المغرب العربي، تونس، ١٩٧٤، ص ١١٢: هيكتز، نفسه، ص ١٦٤-١٦٥.

(٥٢٤-٥٥٨هـ/١١٣-١١٦٣م)، ولى عمر بن تافراجين على قاس عندما فتحها الموحدون في سنة ٥٥٤هـ/١١٤٥-١١٤٦م، ثم تولى مراكش إثر فتحها في سنة ٥٥٤١هـ/١١٤٦-١١٤٧م، حيث كان الخليفة عبد المؤمن يستخلفه على الامارة والصلاة اثناء غيابه عنها، مما يدل على المكانة البارزة التي تمتع بها مؤسس هذه الأسرة لدى الموحديين، غير أن ابن تافراجين لم يلبث أن قتل بقصبة مراكش على أيدي بني أمغار -أخوة المهدي- حينما ثاروا على الخليفة عبد المؤمن بمراكش في سنة ٥٥٤٩هـ-١١٥٤-١١٥٥م مستهزين فرصة غيابه لزيارة قبر الإمام المهدي بتمنمل (١).

وبعد وفاة عمر بن تافراجين خلفه ابنه عبد الله الذي تمتع بنفس المكانة المرموقة التي كانت لوالده، فتذكر المصادر أنه كان من كبار الموحديين ومشيختهم ومن ذوي الرأي والمشورة في الدولة الموحدية. وما يدل على ذلك أنه عندما أسند الخليفة يوسف بن عبد المؤمن - (٥٥٨-٥٥٨هـ/١١٦٣-١١٨٤م) ولاية قرطبة لأخيه السيد أبي إسحق، انزل معه للمشورة جماعة من شيوخ المرحدين على رأسهم عبد الله بن عمر بن تافراجين (٢).

وبرز من أولاده ابنه عمر بن عبد الله بن تافراجين، الذي حظي بنفس مكانة والده البارزة في الدولة، فولاه الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي (٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٩م) قابس وأعمالها عقب فرار نائب قراقوش

(١) انظر: البلق، نفسه، طبعة عبد الحميد حاجيات، الجزائر، ١٩٧٤، ص ١٤١-١٤٢؛ ابن خلدون، نفسه، ج ٦، ص ٢٣٦-٢٤٨؛ ابن الشجاع، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر المصوري، ليبيا- تونس ١٩٨٤، ص ٩١ هـ؛ ٢؛ برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ج ١، ترجمة حمادي الساحلي، بيروت، ١٩٨٨، ص ١٨٦.
(٢) العبر، ج ٦، ص ٢٤٩.

الأرمني (١) عنها، عندما علم بهزيمة سيده أمام جيش يحيى بن غانية (٢) الذي لم يلبث أن زحف نحو قايس، وحاصر واليها الموحدني عمر بن تافراجين حصاراً شديداً، وبعث إلى أهلها يندوهم ويحذوهم، مما اضطر أهل قايس إلى إجبار واليهم ابن تافراجين على الإذعان والاستسلام، وفتحوا أبواب المدينة لابن غانية، بعد أن اشترطوا عليه إعطاء الأمان لابن تافراجين، وأن يتوجه صحبة أهله وماله في البحر إلى المغرب الأقصى، فوافق على شروطهم، وذلك في رمضان سنة ٥٩١هـ/١١٩٤-١١٩٥م (٣).

وقد برز أيضاً من بني تافراجين في أواخر عصر الموحدين شخصيات عديدة من أهمهم :- عبد العزيز بن تافراجين، وهو من شيوخ الموحدين في مراكش

(١) هو شرف الدين قراقوش (أو قراقش) الغزي الأرمني، أصله من الأرمن، وكان يقال له المعطسي والناصر. لأنه كان يخطب للناصر صلاح الدين الأيوبي، وهو من مالبيك الغز الذين قدموا من مصر، وكان مملوكاً لتقي الدين ابن أخي صلاح الدين. وقد وفد قراقوش على رأس المالبيك الغز على إفريقية وتولى حكم طرابلس، وتحالف مع عرب بني هلال، كما تعاون فترة مع بني غانية، وأغار معهم على الأطراف الشرقية للدولة الموحدية بالمغرب، واستولى على بعض المدن والعاقل هناك، راجع عنه: (المراكشي المعجب، ص ١٦٥-٣٦٦؛ التجاني، الرحلة، طبعة تونس، ١٩٥٨، ص ٣، ١٩؛ ابن خلدون، نفسه، ج ٦، ص ١٩٢؛ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، لمحقق محمد ماضور، تونس، ١٩٦٦، ص ١٦؛ عز الدين موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣، ص ٢٤).

(٢) هو يحيى بن إسحاق بن محمد بن غانية المسوفي، من قبيلة مسوقة البرية - إحدى قبائل المرابطين -، ويذكر المراكشي أن بني غانية كانوا من قادة المرابطين، وأهلوا بلاداً حسناً في الجهاد، وتوسعهم دولة المرابطين في بلاد المغرب والأندلس، ثم استقروا في ميسرة، وحلوا لواء الشرة ضد الموحدين عقب سقوط دولة المرابطين. انظر: (المعجب، ص ٢٤٢-٣٥١؛ العبر، ج ٦، ص ٢٤٢-٢٤٧-٢٤٨).

Alfred Bel, Los Benou Ghanya, Paris, 1903, p. 1-19.

(٣) انظر: رحلة التجاني، ص ١٠٥-١٠٦؛ العبر، ج ٦، ص ٢٤٩؛ برنشفيلد، نفسه، ج ١، ص ١٨٧-١٨٨.

آنذاك، وشارك في الحوادث السياسية بها، في عهد الخليفة أبي العلاء إدريس المأمون بن المنصور الموحد (٦٢٤-٦٢٩هـ-١٢٢٧-١٢٣٢م)، حيث انضم إلى شيوخ الموحدين بالمحاضرة مراكش عندما نقضوا بيعة الخليفة المأمون، وبايعوا ابن أخيه يحيى بن الناصر الملقب بالمعتصم عقب دخوله مراكش في سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨-١٢٢٩م، مما أدى إلى غضب المأمون عليه، فقرر التخلص منه إثر عبوره من الأندلس إلى المغرب واستيلائه على مقاليد الحكم بمراكش، وذلك بأن أوغر إلى بعض أعوانه باغتياله عند ذهابه إلى المسجد لصلاة الفجر (١).

وتفيد المصادر بأن الخليفة المأمون الموحدى ندم على قتله شيخ الموحدين عبد العزيز بن تافراجين، فرعاها له في أخيه عبد الحق وبنيه، بأن أعاد إليهم نفوذهم ومكانتهم المتميزة في الدولة (٢)، غير أن ذلك لم يستمر طويلاً، إذ سرعان ما تدهورت الأوضاع في الدولة الموحدية بالمغرب الأقصى بسبب الفقر والحروب الداخلية بين الموحدين من بني عبد المؤمن طمعاً في الحكم، في الوقت الذي ازداد فيه نفوذ بني مرين (٣)، مما اضطر بنو تافراجين إلى الرحيل من المغرب الأقصى إلى إفريقية التي كانت تنعم آنذاك بالأمن والاستقرار والازدهار الحضاري في ظل الحفصيين، ولذا أصبحت في تلك الفترة (أواسط القرن

(١) انظر ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ٢٤٩؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص ٢٢.

(٢) العبر، ج ٦، ص ٢٤٩.

(٣) من المعروف أن الفترة الأخيرة من عصر الموحدين قد حفلت بلاضطرابات والانتقاسات والحروب الداخلية بين أمراء الموحدين، بسبب التنافس والصراع حول العرش، في الوقت الذي ازداد فيه نفوذ بني زيان في تلمسان بالمغرب الأوسط، وكذلك بني مرين الذين سيطروا على المغرب الأقصى، وتمكنوا من القضاء على دولة الموحدين هناك في سنة ٦٨٨هـ/١٢٦٩-١٢٧٠م، وذلك بإقتل أبي دبرس الرائي بن محمد أبي حفص بن عبد المؤمن الموحدى في نفس السنة أثناء الحرب ضد بني مرين وأجع التفاصيل في (المراكشي، نفسه، ص ٤٠٤-٤٠٩؛ العبر، ج ٦، ص ٢٥-٢٦٢؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص ٢-٢٢).

٥٧/١٣م) معط رحال انهاجرين من الأندلسيين والمغاربة على السواء (١).

بنو تافراجين وبداية اتصالهم بالحفصيين .

بدأت هجرة بني تافراجين إلى إفريقية في بداية عصر الدولة الحفصية، وكان أول من هاجر إليها من بني تافراجين كبيرهم عبد الحق - سالف الذكر - الذي رحل إلى تونس، -حاضرة الحفصيين - واستقر بها في عهد السلطان محمد المستنصر بالله بن أبي زكريا الحفصي (٦٤٧-٦٧٥هـ/١٢٤٩-١٢٧٧م)، الذي استقبله بالحفاوة والترحاب وقربه إليه، نظراً لأصله العريق، وللخدمات الجليلة التي قدمتها عائلته للموحدين منذ عهد الإمام المهدي بن تومرت (٢).

وبلغ من ثقة الخليفة المستنصر الحفصي في الشيخ عبد الحق بن تافراجين، أن أسند إليه قيادة بعض الحملات العسكرية الموجهة للقضاء على الثوار والعمالة، فيذكر ابن خلدون أن المستنصر عهد إليه بقيادة حملة إلى الحامة (٣)، بسبب ثمود وعصيان شيوخها وذوي الرأي والنفوذ فيها، فقام بتلك المهمة خير قيام، وتمكن من إخضاع الثورة بمنطقة الحامة ، وقتل أهل الخلاف، وحسم العلل (٤).

(١) انظر: العبر، ج ٦، ص ٢٩٩، ٣٤٩؛ ابن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية،

لمحقق محمد التبر وعبد المجيد التركي، تونس ١٩٦٨، ص ٨٠-٩٠؛ الزركشي، نفسه، ص ٢٥؛ Basset et Brunschvig, Initiation a La Tunisie, Paris, 1950, p.90.

(٢) انظر: ابن خلدون، نفسه، ج ٦، ص ٣٤٩؛ برنشفيك، نفسه، ج ١، ص ١٨٧.

(٣) الحامة (أو الحمة وتسمى أيضاً حامة قابس أو حامة مطاطة نسبة إلى سكانها من البربر) هي إحدى مدن بلاد قسطنطينية بجنوبي إفريقية (المغرب الأدنى) ويذكر الحسبي أنها تقع على مقربة من قابس واشتهرت بكثرة النخيل وأهلها موصوفون بالشهامة والنجدة. انظر (البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشر مكتبة الشئى ببيقباد، بدون تاريخ، ص ٤٨؛ العبر، ج ٦، ص ٤١٨؛ الحسبي، الروض المظار في خبر الأقطار، لمحقق احسان عباس، ص ٢٠).

(٤) العبر، ج ٦، ص ٤٠٣، ٣٤٩؛ ابن القنفذ، الفارسية، ص ١٤٤؛ الزركشي، نفسه، ص ٤٧؛

محمد المرزسي الطري، السلطنة الحفصية، نشر دار المغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٦.

ص ٢٦١؛ برنشفيك، نفسه، ج ١، ص ١١٩.

وفي عهد السلطان أبي إسحاق إبراهيم بن الواثق بن المستنصر الحفصي (٦٧٨-٦٨١هـ/١٢٧٩-١٢٨٢م) تولى عبد الحق بن تافراجين حكم بجاية - وكانت من الحواضر الحفصية المهمة - آنذاك - وذلك عقب مقتل واليها محمد بن أبي هلال (١) في سنة ٦٧٩هـ/١٢٨٠م. فاضطلع بها، وأظهر كفاءة وحزمًا في إدارة شئونها، ووطد نفوذ الحفصيين ونشر الأمن والاستقرار فيها. (٢)

وعندما تمكن أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة الدعي من الاستيلاء على الحكم في الدولة الحفصية مدعياً أنه الفضل بن الواثق في سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م، استعان بخدمات شيخ المرحدين عبد الحق بن تافراجين، لخبرته الإدارية والحربية الطويلة، وإخلاصه في خدمة الدولة، فعهد إليه في سنة ٦٨١هـ بقيادة جيش من المرحدين لتأديب العرب، ووضع حد لعيثهم وقسادهم في حواضر وقرى إفريقية، وقد نجح في تحقيق أهداف تلك الحملة وأثبت جدارته في القيام بتلك المهمة الصعبة، حيث أثخن في العرب، وقتل بعض زعمانهم، وقبض على البعض الآخر

(١) هو شيخ الدولة أبو عبد الله محمد بن أبي هلال الهتاتني، كان من كبار رجال دولة السلطان الواثق بن المستنصر الحفصي في بجاية، غير أن ابن الحبير (رئيس دولة الواثق وكاتب علامته) ولي أخاه إدريس بن عبد الملك على بجاية فأراد التخلص من ابن أبي هلال وكبار الجند فيها وعندما علموا بذلك ثاروا ضده وقتلوه في سنة ٦٧٧هـ، وباهوا الأمير أبا إسحاق إبراهيم بن الواثق الذي دخل بجاية في نفس السنة، ثم سرعان ما استولى على تونس وتولى حكم الدولة الحفصية في سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م، ولكن بعد أن استقر حكمه قام بالتخلص من ابن أبي هلال، حيث أمر بقتله في بجاية في سنة ٦٧٩هـ/١٢٨٠م لازدياد نفوذه، «ولما كان يتوقع منه من المكروه في الدولة»، وما عرف به من السعي في إثارة الفتنة. انظر (العبر، ج ٦، ص ٢٩٧-٢٩٩؛ ابن القنفذ، نفسه، ص ١٣٥-١٣٦، ٢٥٩؛ الزركشي، نفسه، ص ٤٤، ٤٢).

(٢) (العبر، ج ٦، ص ٣٤٩).

من شيري الشغب والفتنة، وعاد ظاهراً إلى الحاضرة تونس، وظل يتمتع بهجاء
والرياسة والنفوذ حتى وفاته. (١)

وبعد وفاة عبد الحق بن تافراجين خلفه في قيادة أسرته بنو أخيه عبد
العزیز وهم: أحمد ومحمد وعمر، الذين جاءوا على أثره من المغرب الأقصى،
واستقروا بالحاضرة تونس، فنزلوا بها خير منزلة، وتمتعوا بمركز مرموق في الدولة
الحفصية آنذاك. وكان أبو العباس أحمد بن عبد العزیز بن تافراجين هو كبير تلك
الأسرة، فولاه السلطان أبو حفص عمر بن أبي زكريا الحفصي
(٦٨٣-٦٩٤هـ/١٢٨٤-١٢٩٥م) على قفصة ثم المهديّة، وظل والياً بالمهديّة
حتى التمس من السلطان الاستعفاء من الولاية، فأعفى (٢)، ورغم زهده في
الامارة كان السلطان أبو عصبدة - الذي خلف السلطان أبا حفص في سنة ٦٩٤هـ
يستخلفه على الحاضرة تونس أثناء غيابه عنها، وذلك تمسكاً مع سياسة أسلافه
نحو تلك الأسرة الموحدية، حيث كان بنو تافراجين موضع ثقة السلاطين الحفصيين
ورعايتهم، وقد استمر الشيخ أبو العباس أحمد بن تافراجين على مكانته وحظوته
حتى توفى في أواخر عهد السلطان أبي عصبدة في سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣. تاركاً
إثنين أحدهما أبو محمد عبد الله وهو الأكبر - والآخر يدعى أبا العباس
أحمد. (٣)

(١) العبر، ج ٦، ص ٣٠٤-٣٠٥، ابن القنفذ، نفسه، ص ١٤٤؛ الزركشي، نفسه،

ص ٤٧؛ المطري، نفسه، ص ٢٦١؛ برنشتيك، نفسه، ج ١، ص ١١٩.

(٢) العبر، ج ٦، ص ٣٤٩؛ برنشتيك، ج ١، ص ١٨٧.

(٣) العبر، ج ٦، ص ٢٤٩. ويجدير بالإشارة هنا أن الشيخ أبا العباس أحمد بن تافراجين
الشهير عبد الله بن تافراجين - علاوة على مشاركته في الإدارة والحكم، كان أيضاً من العلماء
الذين برزوا في العلوم الشرعية، حيث وصف في كثير من الوثائق بأنه «الشيخ الأجل الفقيه
المحدث الراوية». انظر:

(Amari, Diplomi arabi dell'archivio Fiorentino, t.1. Firenze, 1863, p.99).

بنو تافراجين ودورهم السياسى والعشارى فى القرن ٨ هـ / ١٤م

أ - بداية ظهور الحاجب عبد الله بن تافراجين،

يعتبر شيخ الموحدين الحاجب أبو محمد عبد الله بن أحمد بن تافراجين التينمللى، أبرز شخصيات أسرته خلال العصر الحفصى، لما له من دور بارز وخطير فى الحوادث السياسية فى إفريقية فى القرن ٨ هـ / ١٤م، وما تمتع به من نفوذ واسع وسلطات مطلقة مدة ما يزيد من عشرين سنة، حيث كان المدير الحقيقى لأمر الدولة سنوات عديدة، وأصبح فى بعض الفترات السلطان غير التوج للدولة الحفصية.

وقد نشأ أبو محمد عبد الله بن تافراجين وأخوه أبو العباس أحمد نشأة طيبة فى كنف السلاطين الحفصيين ورعايتهم، إذ كان أبوهما - كما سبق الذكر - من كبار رجال الدولة ومن ذوي الرأي والمشورة فيها - ولم يلبث عبد الله أن قام بتدعيم مكانته بالزواج من ابنة أحد ذوي النفوذ فى البلاط الحفصى وهو ابن يزدوتن (١) - شيخ الموحدين آنذاك - وساعد ذلك علاوة على استعداده الشخصى، واخلاص أسرته للحفصيين، على سرعة ارتقائه للخطط الكبرى فى الدولة. (٢)

(١) هو أبو يعقوب بن يزدوتن أحد شيوخ الموحدين فى عهد السلطان أبي عصبنة (٦٩٤-٧٠٩ هـ)، وقد تولى رئاسة الموحدين وتبليغ الدولة بتونس فى سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٦-١٢٠٧م، عندما عزم شيخ الموحدين أبو يحيى زكريا بن اللحياني فى الخروج للحج، كما تولى مشيخة الموحدين بتونس فى عهد السلطان أبي بكر بن عبد الرحمن الحفصى المعروف بالشهيد فى سنة ٧٠٩ هـ / ١٢٠٩م، وعندما استولى أبو البقاء خالد بن يحيى الحفصى على الحاضرة تونس وتولى مقاليد الحكم فى سنة ٧٠٩ هـ أبغى عليه فى رئاسة الموحدين مشاركاً للشيخ أبي زكريا يحيى بن أبي الأعلام. انظر (العبر، ج ٦، ص ٣٢، الزركشى، نفسه، ص ٤٩ - ٦٠)

ففي عهد السلطان أبي ضربة محمد المتعصر بن اللحياني (٧١٧-٧١٨هـ/١٣١٧-١٣١٨م) حظي عبد الله بن تافراجين بصداقة السلطان، الذي استخلصه لنفسه، وآثره بصحبته ورفع منزلته، وظل من المقرين إليه إلى أن هُزم في وقعة مصوح (١) في سنة ٧١٨هـ. فأمر بالقبض عليه واعتقاله فترة مع كثير من شيوخ الموحدين (٢). ويبدو أن ذلك بسبب الرشايات التي كثيراً ما يقوم بها الحاقدون في البلاط، أو أن يكون السلطان قد أحس بميلهم لنافسه السلطان أبي بكر بن يحيى الحفصي (صاحب قسنطينة وبجاية آنذاك) وهو ما نرجحه، حيث أن الحوادث التالية تشير إلى وجود نوع من التحالف بين ابن تافراجين والسلطان أبي بكر، ويؤكد ذلك الحظرة والمكانة السامية التي تمتع بها في عهده.

وفي عهد السلطان أبي بكر بن يحيى الحفصي (٧١٨-٧٤٧هـ/٣١٨-٣٤٦م) بدأ اسم عبد الله بن تافراجين يلمع في الحاضرة تونس، وازداد نفوذه، وتدرج سريعاً في المناصب القيادية في الدولة، فكان في البداية ضمن حاشية السلطان أبي بكر الذي وثق به وأسند إليه بعض المهام الخطيرة، ومن ذلك اعتماده عليه في السفارة إلى المرينيين أصحاب المغرب الأقصى، حيث أرسله في سنة ٧٢٣هـ مع ابنه الأمير أبي زكريا الحفصي على رأس سفارة إلى السلطان أبي سعيد المريني (٧١٠-٧٣٩هـ/١٣١٠-١٣٣١م)، للاستنجاد به ضد بني زيان (بني عبد الواد) أصحاب تلمسان، الذين استولوا على تونس في سنة

(١) مصوح: يقع ذلك الموضع ببلاد هواره (شرقي المغرب الأوسط)، وفيه نشبت الموقعة بين السلطان أبي بكر الحفصي صاحب قسنطينة وبجاية -آنذاك- وبين منافسه السلطان أبي ضربة بن اللحياني وذلك في سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م-١٣١٩م، وفيها تمكن السلطان أبو بكر من إيقاع الهزيمة بأبي ضربة، وقتل في تلك المعركة بعض شيوخ الموحدين وعدد من أفراد البيت الحفصي. راجع: (ابن خلدون نفسه، ج ٦، ص ٣٢٩-٣٣٠؛ برنشيك، نفسه، ج ١، ص ١٦٢).

(٢) العير، ج ٦، ص ٣٤٩.

٧٣هـ/أواخر ١٣٢٩م. وساهم ابن تافراجين بدور فعال في توطيد العلاقات بين الحفصيين والمرينيين وعقد التحالف بينهما عن طريق المصاهرة، بزواج الحرة فاطمة ابنة السلطان أبي بكر الحفصي من الأمير أبي الحسن علي ابن السلطان أبي سعيد المريني في سنة ٧٣١هـ/١٣٣١-١٣٣٢م (١). كذلك أرسله السلطان في سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٤-١٣٣٥م في سفارة ثانية لحليفه وصهره السلطان أبي الحسن المريني (بيع سنة ٧٣١هـ)، وذلك لتجديد العهد وتوثيق عرى التحالف بينهما في مواجهة بني زيان (أصحاب تلمسان) العدو المشترك (٢).

وعقب ذلك رقاء السلطان أبو بكر إلى خطة الوزارة خلفاً للشبح أبي محمد بن القاسم (٣)، ثم ولاه خطة الحجابة لابنه الأمير أبي زكريا صاحب بجاية في سنة ٧٤٠هـ/١٣٤٠م وفاقام أحوال ملكه، وعظم أبهة سلطانه ووطد دعائم حكمه في ولاية بجاية وأعمالها، غير أن ذلك أثار عليه حقد شيوخ الموحدين ببجاية ولذا طلب الاستعفاء، فأعفى وعاد إلى مكانه بالمحاضرة تونس (٤)، حيث قدمه السلطان شيخاً للموحدين في سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١-١٣٤٢م، وكان أصحاب

(١) العبر، ج ٦، ص ٣٤-٣٤١، ٣٤٩؛ يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر سنة ١٩٨٠، ص ٢١٨ الزركشي، نفسه، ص ٦٨؛ حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، طبعة تونس، سنة ١٩٧٦، ص ١٣٧؛ رضوان البارودي، سفارات متبادلة بين بني زيان وملكة أروان، دار نشر الثقافة، الاسكندرية، ١٩٨٤، ص ٤٣-٩١؛ المطري، السلطنة الحفصية، ص ٣٤٤-٣٤٥؛ مارييه، بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي، ترجمة محمود هيكمل، الاسكندرية، ١٩٩١، ص ٣٤١-٣٤٢؛ برنشفيلك، نفسه، ج ١، ص ١٧٩-١٨٠.

(٢) الزركشي، نفسه ص ٧٣.

(٣) العبر، ج ٦، ص ٣٥٣؛ ابرو، انقنفة، الفارسية، ص ١٦٥؛ محمد الهادي العامري، تاريخ المغرب العربي، ص ٩٣.

(٤) العبر، ج ٦، ص ٣٥٣؛ برنشفيلك، نفسه، ج ١، ص ١٨٧.

التنفيذ في الدولة ومنهما الحاجب ابن عبد العزيز (١) والقائد ابن الحكيم (٢) -
يرجعان إليه ويعولان على رأيه (٣).

وفي سنة ٧٤٤هـ / ١٣٤٣-١٣٤٤) اتاحت الظروف لشيخ الموحدين عبد
الله بن تافراجين تولي خطة الحجابة للسلطان - أبي بكر - وكانت أهم خطط
الدولة الحفصية حينذاك - ، وذلك عقب وفاة الحاجب ابن عبد العزيز الفاساني في
نفس السنة (٤).

وما ان تولي ابن تافراجين الحجابة حتى قرر الاتفراد بتدبير شئون الدولة،

(١) هو الحاجب أبو القاسم محمد بن اسماعيل بن عبد العزيز الفاساني، أصل سلفه من
الأتلس، وهاجروا إلى مراكش، واستخدموا بها للموحدين. واستقر أبوه اسماعيل بالحاضرة
تونس، ونشأ أبو القاسم بها، وتولى بعض المناصب المهمة، حيث ولاه ابن عمر (حاجب السلطان
أبي بكر) خطة الاشغال (وزارة المال)، ثم تقلد خطة الحجابة للسلطان أبي بكر عقب نكبة حاجبه
ابن سيد الناس انظر العمير ج ٦، ص ٣٤٨؛ ابن الشاح، نفسه، ص ٩).

(٢) هو القائد أبو عبد الله محمد بن علي بن حمزة المعروف بابن الحكيم. نشأ في كنف الدولة
الحفصية، واختصه الحاجب ابن عمر وهباً لتقلد الخطط العليا فرقى إلى عمل باجة، واضطلع
به، وهو الذي تولي اعتقال الحاجب ابن سيد الناس وتغذيته. فعقله السلطان أبو بكر التدبير
في الحرب، ثم انقلب عليه وأضر نكبته بإيعاز من حاجبه ابن عبد العزيز وانتهى الأمر باعتقاله
ومصادرة أمواله، ثم قتله في سجنه سنة ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م. انظر العمير، ج ٦،
ص ٣٤٤-٣٤٥، ٣٥٠؛ الفارسية، ص ١٦٣، ٢٧٨).

(٣) ابن خلدون، نفسه، ج ٦، ص ٣٥.

(٤) العمير ج ٦، ص ٣٥٠؛ ابن الشاح، الأدلة البيّة، ص ٩؛ الزركشي، نفسه، ص ٧٧؛ ابن
أبي دينار، المونس في أخبار إفريقية وتونس تحقيق محمد شمام، ط ٣، تونس ١٣٨٧هـ،
ص ١٤٤. وجليد بالذکر هنا ان ابن القنفذ اشار إلى أن تولية ابن تافراجين الحجابة للسلطان
أبا بكر كانت عقب مقتل القائد ابن الحكيم الذي جمع بين قيادة الجيش والحجابة في تلك الفترة،
(الفارسية، ص ١٦٥). والحقيقة أن تلك الرواية غير صحيحة، ولم نأخذ بها، لأن جميع المصادر
الأخرى اتفقت على أن ابن تافراجين خلف ابن عبد العزيز في الحجابة عقب وفاة الأخير سنة ٧٤٤هـ
وهو ما أثبتناه بالمتن.

والاستحواذ على النفوذ فيها، بالتخلص من منافسه القائد ابن الحكيم (وزير الجند) ووجد الفرصة سانحة للابتناء به، إثر تغير السلطان عليه، بعدما حذره حاجبه ابن عبد العزيز قبيل وفاته من ابن الحكيم بخطرته على دولته وتآمره عليه. ولذا نجح الحاجب ابن تافراجين بالتعاون مع السلطان أبي بكر في التخلص من هذا المنافس القوي، ونكبه في سنة ١٧٤٤هـ/١٣٤٣-١٣٤٤م. (١)

وبذلك أصبح الحاجب عبد الله بن تافراجين هو المدير الوحيد لأمر الدولة، وصاحب الحل والعقد فيها، مما ساعده على توطيد نفوذه أسرته، حيث كان له دور واضح في تولية أخيه أحمد الوزارة في سنة ١٧٤٤هـ، ثم تقلبه قيادة الجيش عقب ذلك. غير أن القائد أحمد بن تافراجين لم يلبث أن قتل في أوائل سنة ١٧٤٧هـ/١٣٤٦م، على يد سحيين من أولاد القوس (من عرب بني حكيم)، وهو من الخارجين عن الطاعة، عندما هاجمه بأتباعه فجأة أثناء قيامه بجباية الضرائب من بلاد هوار، وذلك بإيعاز من ابن عتو (شيخ الموحدين وحاجب الأمير أبي العباس بن أبي بكر الحفصي وإلى بلاد الجريد) الذي كان منافساً لبني تافراجين وحاظاً على منزلتهم الرفيعة في الدولة. (٢)

ومن جهة أخرى كان للحاجب عبد الله بن تافراجين دور كبير أيضاً في اتمام المصاهرة الثانية بين الحفصيين والمرينيين، وتأكيد التحالف بينهما، وذلك بزواج السلطان أبي الحسن المريني من الحرة عزونة ابنة السلطان أبي بكر في سنة ١٧٤٧هـ/١٣٤٦م، بعد مقتل أختها فاطمة أثناء وقعة طريف بجنوبي الأندلس (وتسمى في المصادر الإسبانية موقعة نهر سلاو Rio Salado) والتي هزم فيها أبو الحسن المريني أمام نصارى قشتالة في صفر سنة ١٧٤١هـ/ أغسطس

(١) العبر، ج ٦، ص ٢٥: ابن القنفذ، الفارسية، ص ١٦٥؛ برنشفيك، نفسه، ج ١، ص ١٨٧.

(٢) العبر، ج ٦، ص ٣٥٢-٣٥٣؛ الزركشي، نفسه، ص ١٧٨؛ برنشفيك، نفسه، ج ١، ص ١٨٧.

ونستنتج من المصادر أن الحاجب ابن تافراجين - الذي تميز بعد النظر - كان حريصاً على عقد تلك المصاهرة، وبذل مجهوداً ضخماً لاقتناع السلطان أبي بكر بالمرافقة عليها، ذلك لمعرفة مدى قوة دولة بني مرين في بلاد المغرب، ولكي يوطد علاقاته وصداقته بالسلطان أبي الحسن المريني، ليكون عوناً وملجأً آمناً له في حالة تقلب الأحوال بالحاضرة تونس، أو إذا ما تنكر له سلاطين بني حفص لوشاية أو مؤامرة من أحد الحاقدين عليه في البلاط الحفصي، وعلاوة على ذلك كانت الدولة الحفصية - وعلى رأسها السلطان أبي بكر وحاجبه ابن تافراجين - بحاجة ماسة إلى مساعدة المرينيين والتحالف معهم في مواجهة الضغط الزياني على الأجزاء الغربية للدولة.

ب - ابن تافراجين ودوره في تولية السلطان أبي حفص عمر الحكم،
كان السلطان أبو بكر قد أسند ولاية العهد لابنه أبي العباس أحمد وإلى بلاد الجريد (جنوبي إفريقية)، غير أنه لما تولى السلطان أبو بكر فجأة في رجب سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م. قام ابنه أبو حفص عمر - الذي كان مقيماً آنذاك بالحاضرة تونس - وتحريض من الحاجب عبد الله بن تافراجين بالسيطرة على القصر، وضبط أبوابه، قمهيداً لاخذ البيعة من شيوخ الموحدين وأهل الشورى في الدولة، منتهزاً فرصة غياب أخيه أبي العباس - ولي العهد - بقفصة حاضرة بلاد الجريد. (٢)

(١) العبر، ج ٦، ص ٢٦٦-٢٦٧؛ السلاوي الناصري، الاستقما لأخبار دول المغرب الأقصى، ج ٤، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ١٥٣؛ برنشفيلد، نفسه، ج ١، ص ١٩٤-١٩٥.
(٢) انظر ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ٣٥٥؛ ابن الشاع، الأدلة البينة، ص ٩١؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص ١٨؛ السراج الأندلسي، الحلل النسبية في الأخبار التونسية، مجلد ٢، تحقيق الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٧٤، ص ١٦٨؛ القلشندي، صبح الأعشى، ج ٥، طبعة بيروت، ١٩٨٧، ص ١٢٦؛ المطري، السلطنة الحفصية، ص ٣٧١.

وحاول الأمير أبو حفص اقناع القاضيين ابن عبد السلام (قاضي الجماعة) والأجسي (قاضي الأتكية) بمبايعة دون جدوى، بحجة أنه سبق لهما أن شهدا في بيعه أخيه أبي العباس كرلي للعهد. وفي ظل هذه الظروف العصيبة التي تمر بها الدولة الحفصية، وعدم قدرة الأمير أبي حفص على السيطرة على زمام الأمور، يتصدى الحاجب ابن تافراجين لمواجهة الموقف، ويقوم بتذليل تلك العقبة، وإجبار القاضيين على مبايعته، وذلك بأن أمر ألا يخرج أحد من المجلس - بقصر الحكم - ثم طلب من القاضيين الاشتغال بغسل السلطان أبي بكر وتكفينه، وعقب ذلك استدعى وجوه الموحدين وقواد الجند وأعيان الحاضرة، وأخرج لهم الأمير أبا حفص عمر فبايعوه، وما شعر القاضيان ومن معهما حتى سمعوا جلبة الطبول والبرقات، «وهنا علماً بتأ مبايعة أهل الحل والعقد للأمير أبي حفص، فاضطروا إلى قبول الأمر الواقع، ومبايعته، وكتبت وثيقة بعقد البيعة له» لاختيار العامة والخاصة إياه عن ولي العهد، ويضيف الزركشي، أن ذلك يدل على حسن سياسة الحاجب ابن تافراجين، ومقدرته على تصريف مشاكل الدولة. (١)

والحقيقة أن الدور الخطير الذي قام به الحاجب ابن تافراجين في تولية أبي حفص عمر الحكم بدلاً من أبي العباس ولي العهد، لم يكن يهدف من ورائه مصلحة الدولة أو الرعية، بل كان يخدم - فعاب - أغراضه الشخصية وطموحه في النفوذ والسلطة، بمعنى أنه كان يرمي إلى الاستبداد بالحكم عن طريق تفويض السلطان أبي حفص له تدبير أمور دولته بصفته الحاجب، تقديراً لجهوده ودوره

(١) انظر: تاريخ الدولتين، ص. ٨؛ الرشدي، المعيار المغرب، ج. ١، طبعة وزارة الأوقاف المغربية، ١٩٨١، ص. ٥-٦؛ السلاوي، نفسه، ج. ٤، ص. ١٥٤؛ حسن حني عبد الرهاب، خلاصة تاريخ تونس، ص. ١١٤؛ الطري، نفسه، ص. ٣٧١-٣٧٢؛ محمد الهادي العامري، تاريخ المغرب العربي، ص. ٩٣.

Henri Terrasse, Histoire du Maroc, Casablanca, p.59.

وهكذا تولى السلطان أبو حفص عمر بن أبي بكر الحفصي العرش وتلقب بالناصر لدين الله. عقب وفاة أبيه في الثاني من رجب سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، ولا أن ذلك أدى إلى حدوث الاضطرابات والفتن في الدولة. فشلت الحرب بين أبناء الأسرة الحفصية لأن أبا العباس - ولي العهد الشرعي - (ولي الجريد) عندما علم باستيلاء أخيه أبي حفص على العرش، صم على استرداد حقه الشرعي في الحكم فجمع من حوله أنصاره من الأعراب، وزحف بهم نحو الحاضرة تونس. في الوقت الذي بدأ فيه السلطان أبو حفص يشكر لمجاهديه ابن تافراجين بسبب وشايات مناصبه في الحاشية، الذي أوغروا صدره عليه، وأثاروا مخاوفه من ازدياد نفوذ حاجب الطموح واستبداده بأمر الدولة، ويذكرونه بالمنافسة القديمة بينه وبين الحاجب خلال عهد السلطان أبي بكر. وقد أحس ابن تافراجين بذلك، وتأثر السلطان بسعاية خصومه، مما ينذر بالخطر في حالة الاستمرار في صحبة السلطان أبي حفص، ولذا أعمل الحيلة في الخلاص والهرب حين تتحسن الأحوال لمصلحة، ويتمكن من العودة إلى تونس لمواصلة الاستعواذ على السلطة. (١)

وعلى هذا انتهز الحاجب ابن تافراجين وصول الأمير أبي العباس بقواته قرب الحاضرة تونس، وقبيل التقائه بجيش السلطان أبي حفص - خارج الحاضرة -، قرر الهرب، حيث تذرّع للسلطان بضرورة العودة إلى تونس في بعض المهام العاجلة (٢)، ثم جمع ذخائره وأمواله وفر ليلاً إلى قسنطينة ومنها توجه إلى

(١) العبر، ج ٩، ص ٣٥٥-٣٥٦؛ ابن السمع، نفسه، ص ٩٢؛ ابن أبي دينار المزني، ص ١٤٥؛ برنشتيك، نفسه، ج ١، ص ١٩٩.

(٢) من الملاحظ أن ابن السمع قد انفرد بذكر رواية منفصلة حول كيفية فرار الحاجب ابن تافراجين قبيل المعركة. فأوضح أنه طلب من السلطان أبي حفص أن يرجع إلى الحاضرة تونس، وليأخذ من المال ما يكفل به حركة من بقي من الأجناد، فأسمعه بذلك، وبعث من خدمه من يأمر أمه أن تعطيه ما يقول لها، فدخل تونس ووصل القصة وأخذ من أم السلطان ما أراد، وانصرف إلى رياضه فدخله... وجلس خدام السلطان ينتظرون عند الباب، وكان ذلك في العتمة أول =

السلطان إلى الحسن المريني بالمغرب الأقصى. (١) وفي تلك الأثناء علم أبو حفص بفرار حاجبه ابن تافراجين فاضطرب لذلك، واختل مصاف جيشه، واضطرب للهرب هو وجنده إلى تونس ومنها إلى باجة، مما مكن الأمير أبا العباس أحمد من دخول العاصمة تونس في الثامن من رمضان ٧٤٧هـ/ديسمبر ١٣٤٦م، ولكنه لم يستمر في الحكم سوى سبعة أيام، وذلك إثر قيام أبي حفص بهجوم مفاجئ على تونس، أسفر عن افتتاحها وفرار أبي العباس عنها، ثم القبض عليه وقتله واستتباب الحكم للسلطان أبي حفص مرة ثانية. (٢)

= الليلة من رمضان، فركب جواده، وخرج من الباب الآخر متوجهاً إلى المغرب. انظر (الأدلة البينة، ص ٩٢).

(١) لمجدد الإشارة هنا إلى أن ابن القنفذ أفاد بأن الحاجب ابن تافراجين لم يطمئن إلى السلطان أبي حفص مما اضطره للفرار إلى المغرب، حيث توجه أولاً إلى لتطينة، غير أن السلطان بحث وراءه من رده، وثقف ليلتين في قصبة تونس، ثم أطلقه المزوار القائد نبيل لمصلحة، وغرب إلى الأمير أبي الحسن المريني.... هـ، والحقيقة أن تلك الرواية جانبها الصواب ولا تتفق مع مجريات الحوادث، ولذا لم نأخذ بها لأن كل المصادر الأخرى أجمعت على أن أبا حفص عندما علم بفرار حاجبه اضطرب وفرّ أيضاً من المعركة، والتجأ إلى باجة، وبالتالي لم يكن مهتماً بإعادة ابن تافراجين إلى تونس بسبب صعوبة الموقف الذي كان يتعرض له من جانب جيش أخيه أبي العباس، الذي لم يلبث أن استولى على المحاضرة تونس عقب فرار السلطان أبي حفص عنها. انظر: (الفارسية، ص ١٦٩. وراجع أيضاً للمقارنة بين الروايات: العبر، ج ٦، ص ٣٥٦؛ الأدلة البينة ص ٩٢ تاريخ الدولتين، ص ٨١؛ المؤنس، ص ٦٤٥؛ الحلل السنية في الأخبار التونسية، مجلد ٢، ص ١٦٨).

(٢) انظر: العبر، ج ٦، ص ٣٥٧-٣٥٨؛ ابن الشماخ، الأدلة البينة، ص ٩٣؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص ٨٩؛ السراج الأندلسي، الحلل السنية، مجلد ٢، ص ١٦٨؛ ابن أبي دینار، المؤنس، ص ١٤٥؛ حسن حسني عبد الوهاب، نفسه، ص ١٤؛ المطري، نفسه، ص ٣٧٧-٣٧٨؛ جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج ٢، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، تونس، ١٩٧٨. ص ١٨٤، برنشفيك، نفسه، ج ١، ص ١٩٦.

ج - ابن تافراجين ودوره في التدخل المريني في إفريقية .
 عندما علم السلطان أبو الحسن المريني باستيلاء أبي حفص على العرش
 وقتله لأخيه أبي العباس - ولي العهد الشرعي -، غضب لذلك لأنه كان قد شهد
 على سجل توليته العهد، وكتب ذلك بخطه في السجل. وعلى هذا رأى السلطان
 أبو الحسن في نقض أبي حفص العهد، وقتله لأخيه ذريعة للتدخل في إفريقية،
 ووسط نفوذه عليها، خاصة وأنه كان بطمح إلى ذلك ومعنى نفسه بملكها منذ عهد
 السلطان أبي بكر الحفصي، وما شجعه على ذلك أيضاً تحريض ابن تافراجين له،
 وترغيبه في ملك إفريقية، ويؤكد ذلك قول الزركشي أن السلطان أبا الحسن
 المريني أجمع الحركة على إفريقية، وقوى عزمه على ذلك قدوم الوزير ابن
 تافراجين... (١).

وجدير بالملاحظة أن بعض الروايات التاريخية تلتقى على موقف ابن
 تافراجين من الحفصيين ومدى إخلاصه لهم بعد وفاة أبي بكر الحفصي، ظلالاً من
 الشك، خاصة وأن كل المصادر أجمعت على أنه هو الذي مهد الطريق أمام المرينيين
 لغزو إفريقية. ويمكن القول إن حرصه على تدعيم صلته بالمرينيين خلال عهدي
 أبي سعيد المريني وابنه أبي الحسن، ودوره الفعال في اقام المصاهرة الثانية بين

(١) العبر، ج ٦، ص ٣٥٦-٣٥٧، ابن الساع، نفسه، ص ٩٤؛ الزركشي، نفسه، ص ٨٢؛
 السراج، نفسه، مجلد، ص ١٧؛ ابن أبي دينار، نفسه، ص ١٤٦؛ برتشيك، نفسه، ج ١،
 ص ١٩٦-١٩٧.

Josefa Mutge Vives, Algunas noticias sobre la relaciones entre la
 corona catalano-aragonesa Y el reino de tunez, en actas del
 coloquio, Madrid, 1988, p.137.

وجدير بالاشارة هنا أن أبا الحسن المريني عقب هزيمته في معركة نهر سلاو أمام النصارى
 القشتاليين وجه نشاطه العسكري تجاه بلاد المغرب بعد أن مني بالفشل في الجبهة الانتلسمية،
 ولاشك ان تلك التفريعات السياسية التي حدثت بإفريقية في تلك الفترة كانت مجرد ذريعة
 للتدخل ووسط نفوذه عليها .

الحفصيين والمرينيين، وتسييه في إحداث النزاع بين الآخرين حول العرش رغم تعيين ولي العهد، ثم تخليه عن سلطانه أبي حفص في وقت عصيب لمجرد الظن بتخيير السلطان عليه، وامراعه بالفرار واللجوء إلى السلطان أبي الحسن المريني، وتحريضه إياه على غزو إفريقية، كل ذلك يؤكد حرص الحاجب ابن تافراجين الشديد على تحقيق طموحه في السلطة مهما كانت النتائج، كما يشير في نفس الوقت الشك حول وجود نوع من التحالف السري بينه وبين المرينيين، ضد أسياده الحفصيين، لاسيما إذا ما شعر بوجود تهديد لنفوذه وسلطانه المطلقة في الدولة. (١)

وكيفما كان الأمر فقد زحف السلطان أبو الحسن المريني بعيش ضخم إلى إفريقية مصطحباً معه ابن تافراجين، كما انضم إليه العرب الكعوب، وتمكن الجيش المريني من الاستيلاء على الحاضرة تونس في ٨ جمادى الآخرة سنة ٧٤٨هـ/سبتمبر ١٣٤٧م بعد فرار السلطان أبي حفص، الذي لم يلبث أن قُبض عليه وقُتل، ودخل السلطان أبو الحسن قصبة تونس وطاف بقصور الحفصيين بها، ومعه حليفه ومحرضه ابن تافراجين. وبذلك خضعت إفريقية لبني مرين، وأعلن أمراء الولايات بها طاعتهم للسلطان أبي الحسن المريني. (٢)

(١) انظر العبر، ج ٦، ص ٣٥٧-٣٥٨، ج ٧، ص ٢٦٨-٢٧٠؛ ابن الشماخ، نفسه، ص ٩٤-٩٥؛ الزركشي، نفسه، ص ٨٢؛ السراج، نفسه، مجلد ٢، ص ١١٧؛ ابن أبي دينار، نفسه، ص ١٤٥-١٤٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ١٢٦-١٢٧؛ محمد الهادي العامري، نفسه، ص ٩٥، ٩٧، ٩٨؛ برنشفيك، نفسه، ج ١، ص ١٩٧؛

Terrasse, Histoire du Maroc, p.59. Ency., of, Islam, Art., Tunis, vol, IV, London, 1913, p.852 & Vives, op. cit, p.139.

(٢) العبر، ج ٦، ص ٣٦؛ ابن الشماخ، نفسه، ص ٩٧؛ الزركشي، نفسه، ص ٨٤؛ السلاوي، نفسه، ج ٤، ص ١٦-١٦١؛ الطري، نفسه، ص ٣٨٨-٣٨٩؛ برنشفيك، نفسه، ج ١، ص ٢.

د - إفريقية تحت الحكم المريني وموقف ابن تافراجين .

عقب استقرار الأمور للسلطان أبي الحسن المريني بإفريقية، وضع اضطلاعه بنفسه بتدبير شئون دولته هناك، ورغم استاءه الوزارة لابن تافراجين إلا أنه لم يمنحه نفوذه السابق، ولم يفرضه في أمور الدولة لأنه كان قائماً على أمره، وليس التفويض للوزراء. من شأنه، مما أثار سخط ابن تافراجين، الذي كان يظن أن السلطان أبا الحسن سيكل إليه أمر إفريقية، وقيل أنه عاهده على ذلك، ولهذا بدأ يتعين الفرصة للوثوب على السلطان المريني وطرده من إفريقية. (١)

وفي تلك الأثناء كان العرب أيضاً قد نعموا على السلطان أبي الحسن المريني لاسأته السيرة فيهم بمنعهم من الأعطيات وانتزاع ما بأيديهم من اقطاعات، وسبب إلقائه ضريبة أو إتاوة الخفارة التي كان يفرضها العرب على المسافرين وسكان المناطق الصحراوية نظير حمايتهم، ولذا خرجوا عن طاعته وثاروا عليه، وبايعوا شخصاً مغموراً من أعقاب الخلفاء الموحدين يدعى أحمد بن أبي ديوس، وأخذوا يغيرون على ضواحي الحاضرة تونس، وقاموا بأعمال السلب والتخريب، مما أدى إلى معارضة السلطان أبي الحسن لهم ولكنهم تمكنوا من الانتصار عليه، وحاصروه بالقيروان - التي فر إليها - حصاراً شديداً في المحرم سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م . (٢)

(١) العبر، ج ٦، ص ٣٦؛ ابن الشماخ، نفسه، ص ٩٧؛ الزركشي، نفسه، ص ٨٤؛ السلاوي، نفسه، ج ٤، ص ١٦-١٦١؛ المطوي، نفسه، ص ٣٨٨-٣٨٩؛ برنشتيك، نفسه، ج ١، ص ٢٠.

(٢) التباهي المألف، تاريخ قضاة الأندلس، طبعة بيروت ١٩٨٣، ص ١٦١؛ العبر، ج ٦، ص ٣٥٦-٣٦؛ يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ص ٢٣٥؛ ابن الشماخ، نفسه، ص ٩٦؛ الزركشي، نفسه، ص ٨٣-٨٤؛ السلاوي، نفسه، ج ٤، ص ١٥٩-١٦٠؛ المطوي، نفسه، ص ٣٩٩-٣٩٥؛ جوليان، نفسه، ج ٢، ص ١٨٤-١٨٥؛ برنشتيك، نفسه، ج ١، ص ١٩٩.

Terrasse, op. cit. p.59.

وهكذا أصبحت الظروف مرآتية أمام ابن تافراجين للانتقام من السلطان أبي الحسن المريني، واسترداد نفوذه الواسع الذي اعتاده منذ عهد السلطان أبي بكر الحفصني، حيث طلب العرب من أبي الحسن المريني - المحاصر بالقيروان - أن يبعث إليهم وزيره ابن تافراجين - الذي يحظى بحب معظم العرب لاغداقه عليهم الأرزاق والأعطيات أثناء حجابته للحفصيين - وذلك لمفاوضته في الصلح، ووافق السلطان المريني، وأرسل إليهم ابن تافراجين، الذي سرعان ما أعلن الثورة ضد أبي الحسن المريني، وتحالف مع الأعراب وقلدوه حجابة سلطانهم ابن أبي دبوس، ثم زحفوا بقيادة ابن تافراجين نحو الحاضرة تونس، واستولوا عليها وحاصروا قصبتها، وقذفوها بالنجنيق، غير أنهم لم يتمكنوا من اقتحامها لمنعتها وحصانتها وقوة الحامية المرتبة المدافعة عنها، في الوقت الذي كان فيه السلطان أبو الحسن المريني قد داخل بعض العرب المحاصرين له بالقيروان في فك الحصار عنه مقابل بعض الأموال، وتمكن بذلك من العودة إلى تونس بحراً. (١)

وما أن علم الحاجب ابن تافراجين بذلك حتى تسلل خفية عن أتباعه العرب، وركب إحدى السفن إلى الإسكندرية في ربيع الثاني سنة ٧٤٩هـ/١٣٧٨م، مما أدى إلى انسحاب العرب من تونس واستتباب الأمور فيها للسلطان أبي الحسن المريني مرة أخرى. (٢)

ومن الثابت أن الحاجب ابن تافراجين نزل الإسكندرية في بداية عهد الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون سلطان مصر (سلطنته الأولى من ٧٤٩-٧٥٢هـ) وكان والي الإسكندرية - آنذاك - على الأرجح هو سيف الدين

(١) العبر، ج ٥، ص ٣٩-٣٦١.

(٢) انظر: ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ٣٦١، ج ٧، ص ٢٧٥-٢٧٦؛ ابن الشماخ، نفسه، ص ٩٧-٩٨؛ الزركشي، نفسه، ص ٨٤-٨٥؛ برنشتيك، نفسه، ج ١، ص ١٩٩-٢٠٠؛

Terrasse, op. cit, p.59.

بكتمر بن عبد الله المؤمني (ولايته الأولى غير محددة، وقد عُرِّل في سنة ٧٥١هـ/١٣٥١م). (١)

وتذكر الرواية أن السلطان أبا الحسن المريني بعث عقب عودته إلى تونس برسالة إلى الناصر حسن سلطان مصر في ٧٤٩هـ/١٣٤٨م - يلتبس منه فيها القبض على ابن تافراجين الذي نزل بالاسكندرية، (٢) وأقام بها بعض الوقت في جوار أصدقائه من الأمراء المماليك (٣). إلا أن مطلب السلطان المريني لم يحظ

(١) انظر القرينى، السلوك ج ٢ ق ٢، تحقيق محمد مصطفى زياده، ط ١، القاهرة سنة ١٩٥٨، ص ٧٤٥ وما بعدها؛ ابن حجر الدرر الكامنة، نشر دار الجيل بيروت، بدون تاريخ ج ١، ص ٤٨٨. (٢) يذكر ابن بطوطة أنه عند التقائه بالسلطان أبي الحسن المريني بتونس سأله عن ابن تافراجين فأخبره بتعرضه للأذى من جانب الجالية المغربية المقيمة بالاسكندرية، التي حاولت قتله انتصاراً للسلطان أبي الحسن. (رحلة ابن بطوطة، تحقيق طلال حرب، بيروت سنة ١٩٨٧، ص ٦٦٥). ولا شك أن رواية ابن بطوطة يقلب عليها المبالغة ومحاولة التزلف للسلطان. لأن ابن تافراجين كان يستعج بحماية بعض أصدقائه من الأمراء المماليك بالاسكندرية. ومن جهة أخرى يبدو أن ابن تافراجين كان حريصاً على تأمين مرقفه أثناء فترة حجابته للسلاطين المنفيين، ولذا أقام علاقة صداقة مع أمراء المماليك بالاسكندرية، كي يلجأ إليهم، عند الحاجة، ولا يستبعد أن يكون قد اكتسب صداقتهم عن طريق إرسال الهدايا الثمينة لهم من حين لآخر. (٣) يذكر ابن خلدون (العبر، طبعة بيروت، ج ٦، ص ٣٦٤) أن ابن تافراجين لما نزل بالاسكندرية بعث السلطان أبو الحسن المريني إلى ملوك مصر في التحكيم فيه، فأجابه الأمين المستبد على الدولة يومئذ ويدعى «سقاروس». ولا شك أن هذا الاسم فيه تصحيف من الناسخ. وصحته بييفاروس أو أرس. وهو بييف بن عبد الله القاسمي الناصري، ولقبه سيف الدين. كان من جملة أمراء الناصر محمد بن قلاوون، وكفي نيابة السلطنة بالديار المصرية بعد وفاة الملك الناصر مدة، ثم نقل إلى نيابة حلب سنة ٧٥٢، ثم قتل في سنة ٧٥٢هـ/١٣٥٢-١٣٥٣م إثر خروجه على الطاعة. راجع عنه (ابن تغرى بردى، المشعل الصافي، ج ٣، تحقيق نبيل عبد العزيز، القاهرة سنة ١٩٨٥، ص ٤٨٦-٤٨٨).

بالاستجابة، في الوقت الذي اتجه فيه ابن تافراجين إلى مكة لأداء فريضة الحج. (١)

هـ - ابن تافراجين ودوره في عزل الفضل الحفصي وتولية السلطان أبي إسحاق .

في تلك الفترة (١٣٤٨/٧٤٩ - ١٣٤٩م) سادت الأحوال بإفريقية، حيث بدأ الأمير أبو العباس الفضل بن أبي الحفصي صاحب بونة (عنابة) يسعى لاسترداد ملك أبيه في إفريقية، وانضم إليه أمراء الولايات بها والكثير من العرب، وباعور، وحاصروا المرينين بتونس دون جدوى، في الوقت الذي علم فيه السلطان أبو الحسن المريني باستيلاء ابنه أبي عنان فارس على الحكم في المغرب، مما جعله يسارع بمغادرة تونس متجهاً إلى الغرب الأقصى في أوائل شوال ١٣٤٩/٧٥٠ - ١٣٥٠م، بعد أن عقد لابنه أبي الفضل على تونس، ولكن لم تستتب له الأمور، إذ ثار عليه أهل الحاضرة تونس في نفس السنة، وباعورا الأمير الفضل الحفصي - صاحب بونة -، الذي حاصر تونس حصاراً شديداً، واضطر الأمير أبو الفضل المريني إلى الاستسلام مقابل الأمان. وبذلك استرد السلطان الفضل الحفصي - الذي تلقب بالمتوكل على الله - عرش أبيه وذلك في أواخر ذي القعدة سنة ١٣٥٠/٧٥٠ وأوائل ١٣٥٠م. (٢)

(١) انظر ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ٣٦٤؛ السراج، نفسه، مجلد ٢، ص ١٧٥؛ السلاوي، نفسه، ج ٤، ص ١٦٢؛ حسن حسني، عبد الوهاب، نفسه، ص ١٤١؛ محمد المتولي، علاقات المغرب للشرق أيام السلطان أبي الحسن المريني، ضمن كتاب ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، الرباط، سنة ١٩٧٩، ص ١٧٩، والحقيقة أننا لا نستبعد أن يكون رجال ابن تافراجين عن مصر إلى مكة لأداء فريضة الحج قد تم بالاتفاق مع الماليك حتى لا يتسبب في هرج لهم مع أبي الحسن المريني سلطان المغرب الذي تربطهم به علاقات ودية.

(٢) انظر: العبر، ج ٦، ص ٣٦٣، ٣٦١؛ ابن السماع، نفسه، ص ٩٨-٩٩؛ الزركشي، نفسه، ص ٨٨-٨٩؛ السراج، نفسه، مجلد ٢، ص ١٧٤-١٧٥؛ الطوي، نفسه، ص ٤١١-٤١٢؛ برنشتيكن، نفسه، ج ١، ص ٢١١١.

من تافراجين فبدأ يظهر على مسرح الحوادث بوفريقية مرة أخرى عقب عرته من الحج بصحبة عمر بن حمزة زعيم أولاد أبي الليل (من العرب الكعوب)، وكان قد التقى به في مكة أثناء الحج وتعاهدا على العودة إلى إفريقية والتظاهر على أميرها، وتمكن عمر بن حمزة من توحيد صفوف أولاد أبي الليل تحت قيادته واتفقوا جميعاً على المكر بالسلطان الفضل الحفصي إذا لم يستجب لمطلبهم في السماح لابن تافراجين بدخول الحاضرة تونس، وتقليده الحجابة بدلاً من حاجبه أبي القاسم بن عتو، غير أن السلطان الفضل رفض الاستجابة لهم، مما دفعهم إلى الغدر به فأورهموه بجلهم إلى عقد الصلح خارج تونس، وأنفذع السلطان وأجابهم إلى ذلك، وسرعان ما أحاطوا به وبخاصيته، واعتقلوه ببيوتهم وأذنوا لابن تافراجين بدخول تونس، وسط سلطانه عليها في ١١ جمادى الأولى سنة ٧٥١هـ/يوليو ١٣٥٠م، وحينئذ أعلن الحاجب ابن تافراجين عزل الفضل الحفصي، وبإيعة أحد أخوته وهو أبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر الحفصي، فأجلسه على كرسي الخلافة وبإيعة الخاصة والعامة وكان لا يزال صبياً صغير السن، ولذا أصبح في كفالة حاجبه عبد الله بن تافراجين. (١)

و - الحاجب ابن تافراجين ودوره في عهد السلطان أبي إسحاق .

عقب تولي السلطان أبي إسحاق إبراهيم (المستنصر بالله الثاني) الحكم سنة ٧٥١هـ/ ١٣٤٠م، تم التخلص من أخيه الفضل، وقتله هو وحاجبه ابن عتو.

Gimenez Soler, La corona de Aragóny Granada, Barcelona, 1908,= p.292.

(١) المعبر، ج ٦، ص ٣٦٤؛ الأدلة البينة، ص ١١١١؛ ابن القنفذ، الفارسية، ص ١٧٤؛ ابن الخطيب، اللوحة البدرية في الدولة النصرية، طبعة لجنة إحياء التراث، بيروت، ط ٣ سنة ١٩٨٠، ص ١١٩؛ الزركشي، نفسه، ص ٩؛ السراج، نفسه، مجلد ٢، ص ١٧٥؛ ابن أبي ديار، نفسه، ص ١٤٨؛ القلقشندي، نفسه، ج ٥، ص ١٢٧؛ محمد الهادي العامري، نفسه، ص ١٧٠-١٧١، برنشتوك، نفسه، ج ١، ص ٢٠٢.

وقام الوزير الحاجب ابن تافراجين بتدبير دولة السلطان أبي اسحاق، وتهديد أمره، وكان له في ذلك باع طويل واشتد بالحكم دون السلطان، وانتهى أمره إلى أن يسلم عليه بسلام الملوك، وأصبح في تلك الفترة الحاكم الفعلي، والسلطان غير المتوج للدولة الحفصية قرابة خمسة عشرة عاماً، وساعده على ذلك ميل أهل الحاضرة تونس إليه، لحسن سيرته فيهم، وحرصه على بعث الطمأنينة في نفوسهم ونشره الأمن والاستقرار في ربوع البلاد. (١)

ويمكن أن نتبين أهم معالم السياسة الداخلية للحاجب ابن تافراجين والمشكلات التي واجهته في تلك الفترة فيما يلي:-

أولاً - موقفه من الأعراب :

- أشارت المصادر إلى نجاح الحاجب ابن تافراجين الملموس في حل مشكلة الأعراب الزمينة، والتي ظلت قائمة في معظم فترات العصر الحفصي، وتمثل في عدم خضوعهم تماماً لسلطة الدولة في أغلب الأحيان، وقيامهم بأعمال السلب والنهب والتخريب في بلدان إفريقية، فيذكر ابن خلدون أن عرب بني كعب (الكعوب) دخلوا في الطاعة، ويضيف ابن السمعان أن ابن تافراجين استخلص قواعد البلاد من أيدي العرب بأحسن محاولة، بعد أن تعهد لهم بأن يوقى لهم حاجتهم كل عام من مجابي تلك البلدان الخاضعة لنفوذهم. وبذلك أعاد للحفصيين

(١) ابن الحاج النعمري، فيض العباب، تحقيق محمد بن شقرون، الرباط عام ١٩٨٤، ص ١٥٤
ابن السمعان، الأدلة البينة، ص ١٠٧؛ ابن القنفذ، نفسه، ص ١٧٤؛ الزركشي، نفسه، ص ٩٢؛
ابن أبي دینار، نفسه ص ١٤٩؛ الخطيب نفسه ص ٤١٦؛ برونشفيك، نفسه، ج ١، ص ٢٠٢؛

Terrasse, Hist. du Marco, p.59.

سلطانهم على بلاد قرطاجة والقيروان وسوسة وباجة وتبرسق (١) والأريس (٢).
وأُسند حكمها لأعرانه والمخلصين له من الولاة (٣).

ثانياً - ابن تافراجين والولايات الجنوبية .

فيما يتعلق بالولايات الجنوبية بإفريقية؛ قام الحاجب ابن تافراجين عقب مبايعة السلطان أبي إسحاق بالحاظرة تونس، بمخاطبة العمال بأخذ البيعة له على من قبلهم، فبعثوا بها، وأعلن ابن يلول (٤) والي توزر، وابن العابد (٥) صاحب

(١) تبرسق: تقع في الصحراء الفاصلة بين المغرب الأدنى والأوسط إلى المغرب الغربي من الحاضرة تونس. انظر: (ابن القنفذ، القارمية، ص ١٩٩).

(٢) الأريس: تقع بالصحراء الجنوبية للمغرب الأوسط، ويذكر الإدريسي أن من مدينة الأريس إلى باجة مرحلتان، ويصفها بأنها في وطاء من الأرض، عليها سور تراب جيد، وفي وسطها عين ماء جارية لا تجف، وشرب أهلها من ماء تلك العين، وتشتهر بمزارع الحنطة والشعير.
(الإدريسي، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس، طبعة لندن، ١٨٩٤، ص ١١٧).

(٣) العبر، ج ٦، ص ٣٩٤؛ ابن السمعاع، نفسه، ص ٢. ١؛ السراج، نفسه، ج ٢، ص ١٧٦.

(٤) هو يحيى بن أحمد بن محمد بن يلول، ونسبهم في طوابع العرب من تترج، ويذكر ابن خلدون أن بني يلول استقروا بتوزر قاعدة بلاد الجريد (جنوبي إفريقية) منذ أول الفتح الإسلامي، وتأنثوا ووشجت بها عروقهم نسباً وصهراً حتى انتظروا لي يبنوا الشورى التقدمين للرفادة على الملوك وتلقي العمال القادمين من دار الخلافة. وعندما انقسمت الدولة الحفصية بين الشور الغربية، والحاظرة تونس وما إليها، استبد بنو يلول بحكم توزر إلى أن تمكن السلطان أبو بكر الحفصي من إخضاعهم واعادتهم إلى الطاعة. (العبر، ج ٦، ص ٤١٢؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص ٥٦).

(٥) هو يحيى بن محمد بن علي بن العابد الشربجي، كان أسلافه أصحاب قنصة، ومن بيوتاتها المعروفة. ونسبهم في يلى، ولهم حلف في الشريد من بطون بني سليم. وقد استغلوا ضعف الدولة الحفصية واستقلوا بحكم قنصة إلى أن أخضعهم السلطان أبو بكر الحفصي في سنة ٧٣٥هـ. انظر: (العبر، ج ٦، ص ٣٤٤-٣٤٥، ٤١٤).

نفصة وبنو الخلف (١) أصحاب نفطة الدخول في الطاعة، ويعثروا بالمجباية والهدية، أما ابن مكى (٢) أصحاب قابس وجريه فقد أعلن التمرد والعصيان، وسخط على الحاجب ابن تافراجين لاستبداده بالسلطان ومنعه من التصرف في أمور دولته، ولوجود منافسة قديمة بينهما منذ عهد السلطان أبي بكر، ولذا كان ابن مكى يتهرز كل فرصة لاقضاء ابن تافراجين عن المجباية، والقضاء على نفوذه في الدولة الحفصية، غير أنه لم ينجح في تحقيق هدفه (٣).

خاتمة - سياسته نحو إمارة قسنطينة ،

كانت إمارة قسنطينة تحت حكم الأمير أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر الحفصي (ابن أخى السلطان أبي إسحاق)، الذي كان يطمح في بسط

(١) بنو الخلف: من منافع، ونسبهم في غسان من طوابع العرب، انتقل جدهم من بعض قرى نفزاوة إلى نفطة، واستقر بها، وأصبح لبيته بها بيت مشهور، ويذكر ابن خلدون أن إمارة نفطة -خلال عهد السلطان أبي بكر وبنيه- كانت تحت حكم بني منافع المرويين أيضاً ببني الخلف وكانوا أغرة أربعة هم: منافع وأبو بكر وعبد الله ومحمد، وتكنوا من الاستبداد برياستها زمن الشورى في فترة انشغال الدولة الحفصية عنهم إلى أن تمكن السلطان أبو بكر الحفصي من إخضاعهم، والقضاء على معظم زعمائهم. (العبر، ج٦، ص ٣٥١-٤١٥).

(٢) هو أبو العباس أحمد بن مكى من شيوخ قابس، وأميرها الذي استبد بحكمها عند ضعف وانقسام الدولة الحفصية، وينسب بنو مكى إلى قبيلة لواتة البربرية، ويعدهم الأعلى هو مكى بن فوج بن زيادة الله اللواتي. وكان بنو مكى هؤلاء من المقربين للأمير أبي زكريا بن عبد الواحد الحفصي -مؤسس الدولة الحفصية-، ولما اعتزم الأمير أبو زكريا الاستقلال بحكم إفريقيا دخل أبو القاسم عشان بن مكى في طاعته وأخذ له البيعة من أهل قابس. فكان له ولقومه بذلك، مكانة من السلطان أبي زكريا وخلفائه. انظر: (العبر، ج٦، ص ٤٢-٤٢١).

(٣) العبر، ج٦، ص ٣٦٤-٣٦٥؛ الزركشي، نفسه، ص ١٩٢ عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، نشر مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية، بدون تاريخ، ص ٧٩٢؛ برنشتيكن، نفسه، ج١، ص ٢٠٢.

نفروه على تونس وتكن من إنزال الهزيمة بجيش ابن تافراجين عند بلاد هواره في سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١-١٣٥٢م، ولكنه لم يواصل زحفه إلى تونس وقفل بجيشه عائداً إلى قسنطينة. (١)

وفي سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢-١٣٥٣م عاود الأمير أبو زيد الكرة مرة أخرى، وشجعه على ذلك لمحرّض أحمد بن مكّي - العدو اللدود لابن تافراجين -، الذي وفد على الأمير أبي زيد بقسنطينة بصحبة حلفائه العرب من أولاد مهلهل وحته على الزحف نحو إفريقية واسترداد ملك آبائه من الحاجب ابن تافراجين الذي استبد به واحتازه دونهم، وبالفعل انقاد الأمير أبو زيد لتحريض حليفه ابن مكّي وزحفاً إلى تونس في سنة ٧٥٣هـ. وما إن علم ابن تافراجين بذلك حتى جهز السلطان أبا إسحاق بما يحتاج إليه من الجند والعدة، وعهد بقيادة الجيش لابنه محمد بن عبد الله بن تافراجين، والتقى الجمعان في موقعة مرماجة (٢)، وفيها هُزم جيش السلطان أبي إسحاق، وولي الأديار، وتحصن بالعاصمة تونس التي حاصرها أبو زيد عدة أيام، ولكنها امتنعت عليه، فاضطر للعودة إلى بلاده قسنطينة، خاصة وأنه أحس بخطر يهدد ولايته، وذلك من ناحية الأمير أبي عبد الله محمد الحفصي (صاحب بجاية وابن أخي السلطان أبي إسحاق)، وكذلك السلطان أبي عنان المريني صاحب المغرب الأقصى، اللذين زحفا نحو قسنطينة للاستيلاء عليها بإيعاز من الحاجب ابن تافراجين وبذلك نشل التحالف بين أبي زيد الحفصي

(١) العبر، ج ٦، ص ٣٦٥؛ الزركشي، نفسه، ص ٩٣؛ المطري، نفسه، ص ٤١٧؛ برنسيك، نفسه، ج ١، ص ٢٠٥.

(٢) مرماجة: إحدى مدن بلاد هواره بصحراء المغرب الأوسط على مقربة من الأرس، وصفها صاحب كتاب الاستبصار بأنها مدينة قديمة أزلية فيها آثار كثيرة للأول، واشتهرت بوفرة الخبثات ومزارع القمح والشعير. انظر: (مجهول، الاستبصار، في عجائب الأمصار، ص ١١٦٢؛ الإدريسي، نفسه، ص ١١٨).

(صاحب قسنطينة) وابن مكي (صاحب قابس وجربة) في القضاء على ابن تافراجين. (١)

رابعاً - موته من الحملة المرينية الثانية على إفريقية .
بعد أن خلع السلطان أبو عثان فارس أباه أبا الحسن المريني واستولى على حكم المغرب الأقصى في سنة ١٣٥٢هـ/١٣٥١م. قرر مد سلطانه إلى المغرب الأوسط والأدنى والقيام بغزو كبرى بلاد المغرب مثلما حدث في عهد والده. وبالفعل نجح أبو عثان المريني في الاستيلاء على تلمسان من أبي بني زيان (٢)، ثم زحف إلى قسنطينة، وتمكن من إخضاعها إثر استسلام أميرها أبي العباس أحمد الحفصي في سنة ١٣٥٨هـ/١٣٥٧م. وعقب ذلك بعث السلطان أبو عثان إلى الحاجب ابن تافراجين يدعو للدخول في طاعته والتنازل عن تونس، ورفض ابن تافراجين الاستجابة لمطلب السلطان المريني، لأنه يدرك أن خضوعه للمرينيين سيؤدي - حتماً - إلى ضياع نفوذه القوي الذي يتمتع به كحاجب

(١) العبر، ج ٦، ص ٣٦٥-٣٦٦؛ ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً منشورات دار الكتاب المصري واللبناني، ١٩٧٩، ص ٥٧-٥٨؛ الزركشي، نفسه ص ٤١٧-٤١٩؛ برتشفيك، نفسه، ج ١، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٢) انظر ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ٣٦٦؛ الزركشي، نفسه، ص ٩٣-٩٤؛ برتشفيك، نفسه، ج ١، ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٣) كانت إمارة قسنطينة تحت حكم أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر الحفصي، كما سبق الإشارة - ثم غلبه على حكمها أخوه أبو العباس أحمد الذي يبيع بها في سنة ١٣٥٥هـ/١٣٥٦م واضطر أبو زيد للاستقرار في بونة (عنابة) لفترة قصيرة، غير أنه لم يركن للإقامة بها، فراسل الحاجب ابن تافراجين في السماح له بسكنى تونس مقابل التنازل عن بونة لعهده السلطان أبي إسحاق، فأجابه إلى طلبه. انظر التفاصيل في: (ابن القنفذ، نفسه، ص ١٨١؛ الزركشي، نفسه، ص ٥٩-٦٩٦؛ برتشفيك، نفسه، ج ١، ص ٢٠٥-٢٠٦).

للسلطان أبي إسحاق الحفصي، خاصة وأن مجريته الأولى معهم - في عهد السلطان أبي الحسن - أثبتت أن سلاطين بني مرين يميلون إلى تولي أمور دولتهم بأنفسهم ولا يفوضون ذلك لوزرائهم أو حجابهم، مما يتعارض مع سياسة وطرح الحاجب ابن تافراجين. (١)

وعلى هذا أرسل السلطان أبو عنان جيشاً برياً وأسطولاً بحرياً لمنازلة الحاضرة تونس في شعبان سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٧م، وتصدى لهم ابن تافراجين بقواته (٢)، ولكنه أدرك عدم جدوى الاستمرار في المقاومة، خصوصاً عندما بلغه تأهب السلطان أبي عنان للزحف من قسنطينة إلى تونس، ولذا أسرع بالفرار مع بعض أعرانه وخدمته إلى المهدية، وتحصن بها، كما لحق به السلطان أبو إسحاق الحفصي، الذي هرب مع حلفائه أولاد أبي الليل إلى بلاد الجريد، مما مكن القوات المرينية من دخول تونس، وفتت البيعة هناك للسلطان أبي عنان المريني وخطب له

(١) انظر ابن الحاج، قبض العباب، بتحقيق محمد بن شرف، ص. ١٦ وما يليها؛ الزركشي، نفسه، ص. ٩٦-٩٧؛ ابن أبي دينار نفسه، ص. ١٤٩؛ المطوي، نفسه، ص. ٤٢٨-٤٢٩. ودير بالملاحظة أن العلاقة بين السلطان أبي عنان المريني والحاجب ابن تافراجين قد سادت بسبب رفض إبن السلطان أبي بكر الحفصي الزواج من السلطان المريني، يوقوف الحاجب موقفاً سلبياً من ذلك. انظر: (ابن التفتازان، نفسه، ص. ١٧٤).

(٢) أشارت بعض الروايات إلى أن الحاجب ابن تافراجين تمكن من إزوال هزيمة شبيعة بالأسطول المريني الذي وصل تونس قبيل الجيش البري، (ابن الشجاع، نفسه، ص. ٣، ١؛ السراج، نفسه، مجلد ٢، ص. ١١٧؛ ابن أبي دينار، نفسه، ص. ١٤٩) ولكن تلك الروايات تنسم بالمبالغ، والصواب ما أثبتناه بالمتى -تقلاً عن ابن خلدون المعاصر لتلك الحوادث- وهو أن ابن تافراجين نصلى للأسطول المريني، وصد في المقاومة يوماً أو بعض يوم، ثم تغير الوضع بوصول الجيش البري المريني، حيث أدرك ابن تافراجين أنه لن يتمكن من مواصلة المقاومة بسبب شدة الحصار حول تونس، ووصول أنباء تفيد بقرب وصول السلطان أبي عنان بمعسكره إلى تونس، ولذا قرر الهرب إلى المهدية، والتحصن بها، ريثما تتحسن الأحوال لمصلحته ويتسكن من العودة إلى تونس لاسترداد نفوذه. انظر: (العبر، ج ٦٥، ص. ٣٧؛ الزركشي، نفسه، ص. ٩٧).

على جميع منابر إفريقية عدا المهديّة وسوسة وتوزر. (١)

وفي الوقت الذي اعتزم فيه السلطان أبو عثان التوجه إلى تونس حدث تمرد في جيشه، وأسرع جنده بالانسحاب والعودة إلى المغرب الأقصى، ولم يلبث أن لحق بهم أبو عثان مما أدى إلى حدوث اضطراب في صفوف المرتين بتونس، وساعد على ذلك أيضاً ثورة الأهالي ضدهم، مما جعلهم يسارعون بمغادرة الحاضرة تونس في سفينهم متجهين إلى المغرب الأقصى، وبذلك اتبعت لابن تافراجين الفرصة بالعودة إلى تونس مرة أخرى (٢)، وحدثت البيعة للسلطان أبي إسحاق الحفصي الذي دخل حاضرتة في أوائل ذي الحجة ٧٥٨هـ/١٣٥٧م، وهكذا فشلت الحملة المرتنية الثانية على إفريقية واستمر الحاجب ابن تافراجين يتمتع بسلطاته المطلقة في الدولة الحفصية. (٣)

(١) ابن الحاج فيض العباب، ص ١٧٣-١٧٤؛ العبر، ج ٦، ص ٣٧؛ ابن الشعاع، نفسه، ص ١٠٤-١٠٣؛ ابن القنفذ، نفسه، ص ١٧٥؛ الزركشي، نفسه، ص ٩٧؛ عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص ٧٩٢؛ المطوي، نفسه، ص ٤٢٩؛ برنشفيك، نفسه، ج ١، ص ٢٠٧-٢٠٨؛

Ency., of Islam, Art., Tunis, vol, IV, p.852.

(٢) جدير بالإشارة هنا أن الحاجب ابن تافراجين بعد أن غادر المهديّة وعاد إلى تونس عقب انسحاب المرتين، استعمل السلطان أبو إسحاق الحفصي على مدينة المهديّة أخاه الأمير أبا يحيى زكريا الحفصي، وبعث على حجابته أحمد بن خلف -من أعوان ابن تافراجين- مستجلاً عليه، ولم يلبث الأمير زكريا الحفصي أن ضجر من استبداد حابيه عليه، فقتله وتحالف مع أحمد بن مكّي صاحب قابس، واستنعاها ليتولى الحجابة له، فوصل إليه وأعلن مبايعة السلطان أبي عثان الرضي، مما دفع ابن تافراجين إلى إرسال جيشه إلى المهديّة، وانتهى الأمر بفرار الأمير أبي يحيى زكريا وحابيه ابن مكّي إلى قابس واسترداد ابن تافراجين للمهديّة. انظر: (الزركشي، نفسه، ص ٩٨-٩٩).

(٣) العبر، ج ٦، ص ٣٧٢؛ ابن الشعاع، نفسه، ص ١٠٤؛ السراج، نفسه، مجلد ٢، ص ١٧٦؛ محمد الهادي العامري، نفسه، ص ١١١؛ برنشفيك، نفسه، ج ١، ص ٢٠٩

خامساً - سياسته نحو إمارة بجاية

كانت بجاية من الإمارات المنهدة في الجزء الغربي من الدولة الحفصية. نهى الشرع العربي تلك الدولة خلال عصر الأيوبيين، بالقول: «يُلقَى بها سباً حتى تلك الفترة لم يربو الذين أسدروا حكمها لأحد عدائهم وهو يحيى بن ميمون، الذي كان مكروهاً من أهل بجاية لشدة وتوسع ولداً أخذوا يتحينون الفرصة للتخلص من الحكم المريني، فاستنجدوا بابن تافراجين بعد انسحاب الجيش المريني من تونس وعودته إلى المغرب الأقصى. (١)

وقد سلك الطريق بذلك أمام ابن تافراجين لبسط نفوذه على بجاية واستعادة بعض الأجزاء الغربية التي كانت خاضعة للحفصيين فيما مضى، وأرسل إليها ابن تافراجين جيشاً قوياً على رأسه السلطان أبي اسحاق، وعندما اقترب الجيش الحفصي من مدينة بجاية ثار أهلها على من بها من المرينيين، وتم اعتقال ابن ميمون - عامل المرينيين بها - وإرساله إلى تونس ودخل السلطان أبو اسحاق بجاية في سنة ٧٦١هـ / ١٣٦٠م، واستبد بها وتولى شئونها بنفسه، ومكث هناك خمس سنوات كان حاجبه ابن تافراجين يده خلالها من تونس بما يحتاج إليه، وظل أبو اسحاق ببجاية حتى دخلها عليه صلاحاً الأمير أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا بن أبي بكر الحفصي (ابن أخيه) الذي سمح له بالعودة إلى حاضرتة تونس في سنة ٧٦٥هـ / ١٣٦٥م. (٢)

سادساً - ابن تافراجين واسترداده جزيرة جربة

كانت جزيرة جربة خاضعة لنفوذ أحمد بن مكي (صاحب قابس وطرابلس)

(١) انظر: العبر، ج ٦، ص ٣٧٣: الزركشي، نفسه، ص ٩٩: المطري، نفسه، ص ٤٣٨: برنشفيك، نفسه، ج ١، ص ٢١.

(٢) العبر، ج ٦، ص ٣٧٣: ابن القنفذ، نفسه، ص ١٧٦: الزركشي، نفسه، ص ٩٩: السراج، نفسه، مجلد ٢، ص ١٧٧: المطري، نفسه، ص ٤٣٨-٤٤٥، ٤٤٦: برنشفيك، نفسه، ج ١، ص ٢١-٢١١.

وظلت هكنا، حتى سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م حيث نqm أهلها على ابن مكى سيرته فيهم، وبعثوا بذلك سرّاً إلى ابن تافراجين بتونس، الذي انتهزها فرصة للانتقام من عدوه ابن مكى^(١) فأرسل إلى جربة جيشاً بقيادة ابنه محمد بن تافراجين الذي تمكن من النزول بجربة وحاصر قلعتها حصاراً شديداً، نتج عنه اقتحامها عنوة واستولى بذلك على جزيرة جربة، وأقام بها دعوة السلطان أبي إسحاق الحفصي، ثم غادرها إلى تونس بعد أن ترك محمد بن أبي العيون والياً عليها. (٢)

س - اسهامات ابن تافراجين الحضارية

أوّلاً - دوره في تطوير خطة الحجابة في الدولة الحفصية .

أوضح ابن خلدون - المعاصر لتلك الفترة - أن السلاطين الحفصيين احتاجوا بعد اتساع دولتهم وكثرة الخدم والحاشية والمرتقّين بقصرهم إلى قهرمان خاص بالقصر السلطاني، يهتم بالنظر في أحواله، ويجريه على قدره وتربيته وما يحتاج إليه من رزق وكسوة وعطاء ونفقة وغير ذلك، واطلقوا عليه اسم «الحاجب». واستمر الحال على هذا النحو إلى أن أصبح السلطان الحفصي يحجب نفسه عن الناس، فتطورت خطة الحجابة حيثئذ، وأصبحت واسطة بين السلطان وبين أهل الرتب كلهم. ثم جاء الحاجب ابن تافراجين في عهد السلطان أبي بكر الحفصي (٧١٨-٧٤٧هـ) وطوّرت تلك الخطة حيث صار له الرأي والمشورة وتدبير

(١) أوضح ابن خلدون أن أحمد بن مكى استقر بطرابلس وجعلها داراً لإمارته منذ ملكها من أيدي النصارى الجنوية نظير مبلغ من المال، وذلك في شعبان سنة ٤٥٦هـ/١٣٥٥م. انظر التفاصيل في: (ابن خلدون، العمير، ج ٦، ص ٣٧٤-٣٧٥) برنشفيك، نفسه، ج ١، ص ٤٠٢.

(٢) العمير، ج ٦، ص ٣٧٤-٣٧٥ الزركشي، نفسه، ص ١١٠. محمد أبو راس الجري، مؤنس الأجيح في أخبار جربة، طبعة تونس، ١٩٦٠، ص ١٥١. الطوى، نفسه، ص ٤٦٦: برنشفيك، نفسه، ج ١، ص ٢١١. وحول علاقة الحفصيين بجزيرة جربة راجع التفاصيل في: (رضوان البارودي، جزيرة جربة التونسية، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ٣٢ وما يليها).

شئون الدولة، ولم يكتف الحاجب الطمرح بذلك بل تطلع الى الانفراد بالنفوذ واستحوذ على سلطتي السيف والقلم في عهد السلطان أبي حفص عمر بن أبي بكر الحفصي، ثم في عهد أخيه أبي إسحاق إبراهيم الذي شهد استبداد الحاجب ابن تافراجين بالسلطان الحفصي. وبلغت خطة الحجابة -آنذاك- أوج ازدهار وذروة النفوذ وأصبح الحاجب هو الوزير الأول في الدولة، وسلم عليه بسلام الملوك (١) وهو ما يشبه وزير التفويض في المشرق الإسلامي في العصر العباسي الأول.

ويتضح لنا من سبق أن الحاجب ابن تافراجين أحدث تطويراً مهماً في خطة الحجابة واختصاصاتها، وجعل منها أرفع خطط الدولة الحفصية على الإطلاق في تلك الفترة، كما أعاد في نفس الوقت لشيوخ الموحدين هيبتهم ومكانتهم المرموقة في الدولة، وساهم بشكل ملموس في الحفاظ على التقاليد والمراسم السلطانية. (٢)

ومن جهة أخرى يلاحظ أن ابن تافراجين حمل العديد من الألقاب أثناء فترة حجابته، والتي تدل على تدرجه في المناصب وكذلك مدى قوة نفوذه، ومن ذلك صاحب السفارة، وشيخ الموحدين، والوزير، والحاجب والمؤمن المكين، وشيخ الحضرة. كما وصف في الوثائق والمعاهدات بأنه «مصلح الأحوال بعد اختلالها، ومنجح الآمال بعد اعتلالها...» (٣).

(١) انظر: ابن خلدون، المقدمة، ج٢، تحقيق علي عبد الواحد والي. ط٣، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٨١، ص ١٧٢-١٧٣ العبر، ج٦، ص ٣٥٥؛ الأدلة البيئية، ص ١١٠٢، مختار العيادي، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، الطبعة الأولى، الاسكندرية، ١٩٦٨، ص ١٩٣-١٩٥؛ برنشتيك، نفسه، ج٢، ص ٤٢، ٣٧.

(٢) برنشتيك، نفسه، ج٢، ص ٣٥، ٥١-٦٥.

(٣) العبر، ج٦، ص ٣٤٩-٣٥٠؛ الأدلة البيئية، ص ١١٠٩، ١١٠٩، ١١٠٩؛ الفارسية، ص ١٧٤؛ تاريخ الدولتين، ص ٧٧، ٩٨؛ الوثائق، ص ٤، ١٢٨٢.

Amarí, Diplomí arabi, pp.98-99. & Alarcón Y Linares, los documentos arabes diplomaticos, Madrid, 1940, pp.311-312.

ثانياً - ميوله الأدبية والشرعية ورعايته للعلم والعلماء .

أمدا الوثائقي بإشارة قيمة توضح الميول الأدبية والشرعية للحاجب ابن تافراجين، فيذكر أن الحاجب بعث إلى ابن عرفة شيخ الفقهاء بالمحاضرة تونس يدعه بأبيات، ومن ذلك قوله :

يا دوحة الأدب المصرتي العلا . . . منك استطبنا الطعم والمشموما

أردت زناذك في العلوم فأصبحت . . . تهدي إليك نفائسا وعلوما (٢١)

كذلك هناك بالمصادر ما يفيد بوجود رياض (بستان) للحاجب ابن تافراجين على مقربة من قصبة تونس، كان يتخذ للراحة وعقد مجالس الأئمة مع أصحابه من شيوخ الموحدين وغيرهم من العلماء والأدباء، ولا نستبعد أنهم في تلك المجالس كانوا يتناطرون في الأدب والشعر والفقه والعلوم الشرعية الاخرى، خاصة أن شيوخ الموحدين كانوا في المقام الأول من العلماء البارزين في العلوم الدينية. (٣)

ومن ناحية أخرى قام الحاجب ابن تافراجين بدور مهم في الاهتمام بالعلم وتشجيع طلابه، عن طريق الأوقاف العديدة التي أوقفها على مدرسته بتونس

= وجدير بالإشارة هنا أن شيوخ الموحدين الذين ينتمي إليهم الحاجب ابن تافراجين كانوا يتمتعون بشراء واسع وجادة رغدة، وكانت لهم قطاعات ورواتب توزع عليهم أربع مرات في السنة، علاوة على الفلة التي يهرقها عليهم السلطان عند تحصيل الغلات في المخازن. وغير ذلك من الأعطيات والأزاق. راجع التفاصيل في: (ابن فضل الله العمري، وصف إفريقية والمغرب والاندلس من كتاب ممالك الانصار، نشر حسن حسني عبد الوهاب، تونس، بدون تاريخ، ص ١٨-١٩؛ القلقشندي، نفسه، ج ٥، ص ١٣٦-١٣٧).

(١١) انظر: المعيار المغربي، ج ٤، ص ٢٨٢.

(١٢) ابن الشماخ، نفسه، ص ٩٦، ٩٧، ٩٨.

والتي كانت مسددة لـ (٤) ، العلماء على الحوزة (٥) .

خاتمة - أعماله العمرانية ،

قام الحاجب ابن تافراجين بالعديد من الأعمال العمرانية، ومن ذلك قيامه في عهد السلطان أبي إسحاق ببناء السور البراني (الخارجي) المحيط بأرض الحاضرة تونس، وحسب عليه العديد من الأوقاف لقرميه وتحصينه كلما دعت الحاجة إلى ذلك. (٢) كما قام بتشييد مدرسة حملت اسمه هي «المدرسة التافراجينية» (٣)، علاوة على السبيل الذي أقامه بتونس والمعروف بسبيل ابن تافراجين، وقام بحسب حمام على المدرسة والسبيل وخصص عائدته لصيانتها ودفع رواتب من يعمل بهما. (٤)

ولم تقتصر أعماله العمرانية على تونس بل شملت أيضاً مدينة المهدية وكانت من الثغور الشرقية للدولة الحفصية وملجأً للحاجب ابن تافراجين وقت الشدة، عندما تحدى به الأخطار بتونس، ولذا اهتم بتحسينها وتجديد أسوارها وحصونها وشحنها بالآلات والعتاد. (٥)

٥ - الحاجب ابن تافراجين وعلاقاته الخارجية (الدبلوماسية).

أقام ابن تافراجين أثناء حجابته للسلطان أبي إسحاق واستبداده بالملك

(١) الوثريسي، العبار المغرب، ج٦، ص٩٨؛ الرصاع، فهرست الرصاع، تحقيق محمد العنايمي، تونس، بدون تاريخ، ص١٩٩.

(٢) ابن السماع، الأدلة البينة، ص١٠٢؛ ابن أبي دينار، المزنس، ص١٤٩؛ برتشفك، نفسه، ج١، ص٣٧٢.

(٣) توجد بقايا تلك المدرسة على مقربة من ضريح الشيخ ابراهيم الرياحي بتونس، وكان بها قبره الذي اندثر الآن (الرصاع، فهرست الرصاع، ج٦، ص٢٠٠هـ).

(٤) العبر، ج٦، ص٣٧٧؛ الوثريسي، نفسه، ج٦، ص٩٨.

(٥) العبر، ج٦، ص٣٧٢؛ برتشفك، نفسه، ج٢، ص٣٤.

العديد من العلاقات الخارجية وتشمل فيما يلي:-

أولاً - علاقته مع جمهورية بيزا،

أبرم الحاجب ابن تافراجين - باسم السلطان أبي إسحاق الحفصي - معاهدة صلح وسلام مع نيربرجلين Neri Porcellino سفير جمهورية بيزا الإيطالية، وذلك في ١١ ربيع الآخر سنة ٧٥٤هـ/ ١٦ مايو ١٣٥٣م.

وما نصت عليه : أن يكون جميع من يصل من التجار البيزيين (البيشانيين) وأتباعهم إلى الحضرة العلية (تونس) وإلى جميع بلادها الداخلة تحت طاعتها آمنين في أنفسهم وأموالهم، وعلى ألا يصل إلى بلادهم الساحلية ولا إلى جزرهم جفن حربي لضرر من الحضرة تونس مدة هذا الصلح. وأن يكون للتجار البيزيين في كل بلد من البلاد الإفريقية الساحلية المعروفة بتزولهم فيها للتجارة فندق يختصون به لتجارهم، ولا يشاركهم في سكناه غيرهم، ويمكنوا في كل فندق من الكنيسة التي فيه ، ومن مدقن لوتاهم ومن فرن يختصون به، وأن لهم دخول حمام يختصون به يوماً في الجمعة، وأن يؤخذ منهم العشر فيما يبيعونه من السلع وأن يحكم قناصلهم فيما ينشب بينهم من منازعات وألا يشتروا ممن يقطع على المسلمين شيئاً من سلع المسلمين أو من أسراهم، وألا يضروا بأحد من أهل البلاد الإفريقية أو من أعمالها، وإذا حدث ضرر بأحد منهم فعلى حاكمهم وقناصلهم الانصاف من ذلك والقبض على الجاني. (١)

ثانياً - علاقته مع مملكة أراغون (أراجون Aragon)،

كذلك عقد ابن تافراجين باسم السلطان أبي إسحاق - معاهدة صلح وسلام

(١) راجع التفاصيل في:

Amarí, op. cit, pp.98-111 & Mas Latrie, Traites de Paix et du Commerce. Paris, 1886, pp.56-65.

لمدة عشر سنوات مع الفارس مربييس مكنوسيه (Mervies Mknosieh) سفير
بطرو الرابع (Pedro IV El Ceremonioso) ملك أراجون في ٢٥ صفر سنة
٧٦١هـ / ١٥ يناير ١٣٦٠م.

ومن نصوصها المهمة : أن يكون الصلح شاملاً لبلاد الحاضرة تونس أو البلاد
التابعة لها برأ وبعراً وأن كل مسلم يسافر من الحاضرة تونس أو من البلاد التابعة
لها يكون آمناً في نفسه وماله لا يلحقه ضرر، كذلك يقوم الملك بطرو بمنع من يريد
الخروج من بلاده إلى بلاد الحاضرة (تونس) وبسبب القطع في جلن من
الأجفان... كما منحت تلك المعاهدة للأراجونيين حق مهاجمة السفن القشتالية
في سواحل إفريقيا وميتا، تونس، واحتجاز من فيها من أشخاص وأمتعة وعلاوة
على ذلك التزم السلطان الحفصي بمقتضى تلك المعاهدة ولمدة عشر سنوات. بدفع
ضريبة سنوية للملك أراجون قدرها ألفا دينار من الذهب، كما نصت المعاهدة على
بناء فنادق للتجار الأراجونيين ويكون لهم قناصلهم بتونس وسائر بلادها التي تحت
طاعتها، وألا يזمر أحد من الحاضرة تونس أو من أعمالها ببلاد ملك أراجون من
المسلمين أو اليهود بعد عقد هذا الصلح. (١)

وهناك رسالة بعث بها الحاجب ابن تافراجين إلى بطرو الرابع ملك أراجون في
٢٧ جمادى الآخرة سنة ٧٦١هـ / مارس ١٣٦٠ بخبره ليها بتفرض أحد رعاياه،
المبوقين للصلح، بقيامه (في نفس السنة) بأعمال القرضنة في المياه التونسية
ومهاجمته لسفن في ميتا، كل من تونس وسوسة ونهيه ما فيها من بضائع وأمتعة

(١) انظر برنشفيك، نفسه، ج. ١، ص ٢١٢-٢١٣.

Alarcon Y Gracia de Linares, Los documentos arabes Diplomaticos
del archivo de la corona de Aragon, Madrid, 1940, pp. 311-314,
Isidro de las cagigas, un traite de Paix, Hesperis, 1934, pp. 65-77,
Cronica de la corona de Aragon, publicado por conde de castellano,
zaragoza, 1919, p. 275, Aguado Bleye, Manual de historia de
España, Madrid, pp. 814-820 & Vives, op. cit, pp. 142-144.

وعدة، رغم إخباره بمعاودة الصلح والسلام المبرمة بين الطرفين، وطلب الحاجب من الملك بدر معاقبته ورد ما سلبه المعتدى من مال وسلع. ورغم تلك الحادثة إلا أنها لم تعكر صفو العلاقات الودية بين الدولة الحفصية ومملكة أراجون. (١)

ومن جهة أخرى نلاحظ ذبوع صيت ابن تافراجين في بلاط ملك أراجون، فتذكر وثائق أرشيف تاج أراجون أن الملك بدر الرابع كان يوصي مبعوثيه إلى الحاضرة تونس دائماً بالحرص على مقابلة الحاجب ابن تافراجين، ويطلب منه بدوره الاعتناء بسفرائه ومساعدتهم في القضايا التي جاورا ليحلها مع السلطان الحفصي. (٢)

ثالثاً - علاقته مع بنى الأحمر ملوك غرناطة،

أشارت المصادر العربية إلى وجود علاقة صداقة ومودة بين الحاجب ابن تافراجين والسلطان محمد الخامس الغني بالله بن الأحمر صاحب مملكة غرناطة، فيذكر ابن الخطيب أن الغني بالله سلطان غرناطة بعث برسالة ودية إلى الحاجب ابن تافراجين في سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م يخبره فيها بالحوادث التي وقعت آنذاك - بمملكة غرناطة وخاصة الانقلاب الذي تزعمه محمد بن اسماعيل بن نصر أحد أقربائه - ثم تمكنه من العودة إلى الحكم، واستقراره على عرش مملكة غرناطة، كما دعا الحاجب في رسالته بالعمل على استمرار العلاقات الطيبة الرابطة التي تربط بين الدولة الحفصية ومملكة غرناطة منذ القديم. (٣)

(١) برنشفيك، نفسه، ص ٢١٣؛

Alarcon Y Linares, op. cit, pp.324-325.

Vives, op. cit, pp.133-134.

(٢)

(٣) راجع نص الرسالة في: ابن الخطيب، ريعانة الكتاب، مجلد ١، لمحقق محمد عبد الله عنان، نشر مكتبة الخالجي، القاهرة، ١٩٨٠، ص ١٠٥-٧٠، القرى نفع الطيب، ج ٩، لمحقق يوسف البقاعي، بيروت، ١٩٨٦، ص ٥٨-٦٣؛ وانظر أيضاً: محمد الهادي العامري، تاريخ المغرب العربي، ص ١١٢؛ برنشفيك، نفسه، ج ١، ص ٢١٣؛

هـ - وفاة ابن تافراجين ودور أسرته في الدولة الموحية.

توفي الحاجب عبد الله بن تافراجين بسبب الطاعون في ربيع الأول سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م (١١)، وكان قبيل وفاته مباشرة قد ارتبط بالسلطان أبي إسحاق الحفصي برباط المصاهرة حيث تزوج السلطان من ابنة الحاجب في صفر سنة ٧٦٦هـ واحتفل لذلك غاية الاحتفال (٢).

وعقب وفاة الحاجب ابن تافراجين استقل السلطان أبو إسحاق إبراهيم بأمور دولته، وباشرها بنفسه وكان «كسحجور أطلق يده وصيه»، وفي تلك الاثناء كان القائد محمد بن عبد الله بن تافراجين غائباً عن تونس على رأس العسكر يقوم بالحماية عندما بلغه نبأ وفاة والده فأوجس خيفة وصرف الجند إلى تونس، وأخذ يعرض نفسه على حواضر إفريقية - مثل المهدية وجربة وغيرها - والتي كان يظن أنها على طاعته، إلا أنه لم يلق القبول، وصده ولائها، ثم بعث إليه السلطان أبو إسحاق يطمنه ويستميله، وأعطاه الأمان مما أدى إلى سرعة عودته إلى الحاضرة تونس فتلقاه السلطان بالترحاب والاکرام وقلده حجابته خلفاً لوالده (٣).

ولم تلبث العلاقات أن سادت بين السلطان أبي إسحاق وحاجبه محمد بن تافراجين لانكاره مباشرة السلطان للناس ورفعه للحجاب ولما ألفه من الاستبداد

Gaspar Remiro, *Correspondencia diplomática entre =* Granad.YFez,1910, pp.343-347 & Mujtar Al-Abbadi, *El Reino de Granada en la epoca de Muhammad V*, Madrid,1973, p.116.

(١١) دفن الحاجب عبد الله بن تافراجين في مدرسته الواقعة بفنطرة ابن ساكن داخل باب السويقة بتونس وحضر دفنه السلطان أبو إسحاق، انظر: (الزركشي، نفسه، ص ١٠١؛ السراج، نفسه، مجلد ٢، ص ١٧٧).

(١٢) ابن الشاح، نفسه، ص ١٠٥؛ الزركشي، نفسه، ص ١٠١؛ السراج، نفسه، مجلد ٢، ص ١٧٧؛ ابن أبي دينار، نفسه، ص ١٥.

(١٣) العبر، ج ٦، ص ٢٧٨؛ الفارسية، ص ١٧٦؛ الزركشي، نفسه، ص ١٠١-١٠٢؛ برنشفيك، نفسه، ج ١، ص ٢١٣.

والنفوذ منذ عهد أبيه، فأظلم الجو بينه وبين السلطان، وما ساعد على ذلك أيضاً تدخل الرشاة والمنافين للحاجب محمد بن تافراجين في البلاط الحفصي، ونتج عن ذلك قرار الحاجب ابن تافراجين إلى قسنطينة حيث استقر عند السلطان - أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر الحفصي، وأخذ يحرضه على غزو تونس ويرغبه في ذلك، موضحاً سهولة الاستيلاء عليها. وقد رحب السلطان أبو العباس به، ووعدته بالتهوض معه إلى إفريقية عقب فراغه من حربه ضد ابن عمه الأمير أبي عبد الله الحفصي صاحب بجاية. (١)

وعقب انتهاء السلطان أبي العباس صاحب قسنطينة من فتح بجاية في شعبان سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥-١٣٦٦م، أرسل إلى تونس جيشاً بقيادة أخيه أبي يحيى زكريا (صاحب برنة) وبصحبه محمد بن تافراجين ونازلها الجيش عدة أيام، ولكنها امتنعت عليه، واضطروا إلى فك الحصار والاتسحاب بعد عقد السلم والمهادنة مع السلطان أبي إسحاق ولحق ابن تافراجين بالسلطان أبي العباس أحمد بقسنطينة. (٢)

وفي سنة ٧٧٧هـ/١٣٩٦م توفي أبو إسحاق سلطان تونس، وخلفه ابنه أبو البقاء خالد الثاني الذي كان قليل الخبرة يأمره الحكم، ولذا خرجت عن طاعته العديد من الولايات. وأرسل أمراء العرب ببلاد قسطنطينية (جنوبي إفريقية) إلى السلطان أبي العباس (صاحب قسنطينة وبجاية) يستحثونه لبط سلطانهم عن تونس، فرحب بذلك، وبعث إليهم في البداية بالقائد محمد بن عبد الله تافراجين لأخذ بيعتهم، فدخل في الطاعة يحيى بن ملول صاحب توزر والخلف بن الخلف صاحب نفطة، وأصبح الطريق بذلك ممهداً أمامه لغزو تونس وإفريقية. (٣)

(١) العبر، ج ٦، ص ٣٧٨؛ ابن السماع، نفسه، ص ٦٠، الزركشي، نفسه، ص ٢، ١؛ المطر، نفسه، ص ٤٧.

(٢) العبر، ج ٦، ص ٣٨٩؛ الزركشي، نفسه، ص ٢، ١؛ المطر، نفسه، ص ٤٧.

(٣) العبر، ج ٦، ص ٣٨٢-٣٨٣؛ الزركشي، نفسه، ص ١، ٥.

وفي سنة ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م تمكن السلطان أبو العباس أحمد الحفصي من الاستيلاء على تونس واعتقال صاحبها أبي البقاء خالد بن أبي إسحاق الحفصي، وأرساله في سفينة إلى إحدى مدن ساحل المغرب الأوسط، تمهيداً لنقله إلى قسنطينة، غير أنه غرق في البحر. وعقب استقرار السلطان أبي العباس بالحاضرة تونس قلد خطة الحجابة لأخيه الأمير أبي يحيى زكريا، وجعل القائد محمد بن تافراجين رديفاً له مكافأة على خدماته. (١)

ولم تلبث العلاقات أن تدهورت بشكل خطير بين السلطان أبي العباس وحاجبه محمد بن تافراجين بعد أن نفي إلى علمه عن طريق الرشاة أن ابن تافراجين اتفق سراً مع العرب في الخروج عليه ومهاجمة الحاضرة تونس. (٢) وعلى هذا أمر السلطان بالقبض على الحاجب ابن تافراجين، وأرساله إلى قسنطينة، وظل معتقلاً بها إلى أن توفي في سنة ٧٧٨هـ / ١٣٧٦-١٣٧٧م. (٣)

وبعد نكبة الحاجب محمد بن تافراجين ظهرت في البلاط الحفصي بتونس شخصية أخرى تنسب إلى تلك الأسرة وتعني بذلك : الشيخ أبو عبد الله بن أبي العباس أحمد بن تافراجين (ابن أخي الحاجب الشهير عبد الله بن تافراجين)، الذي حل مكان ابن عمه في بلاط السلطان أبي العباس الحفصي. فيذكر ابن القنفذ

(١) الأدلة البينة، ص. ١١: برنشفيك، نفسه، ج. ١، ص. ٢١٨-٢١٩.

(٢) في الحقيقة أننا لا نستبعد صحة الرشايات التي أبلغت للسلطان أبي العباس ضد حاجبه ابن تافراجين خاصة وأن هذا الحاجب كان يطمح -مثل والده- في السلطة والانفراد بالنفرة في الدولة، ولكنه لم يجد السبيل إلى ذلك نظراً لحزم السلطان أبي العباس وقوة بأسه، وتولية تدبير أمور دولته بنفسه، مما يصعب على الحاجب تحقيق طموحه الشخصي، خصوصاً وأنه لم يكن في مثل هبة ودهاء والده الذي كان يمتاز ببعد النظر والحيرة بأسود السياسة والحكم. انظر: (ابن الشجاع، نفسه، ص. ٤١١ المؤنس، ص. ١٥١، المطري، نفسه، ص. ٤٨٦-٤٨٧).

(٣) العبر، ج. ٦، ص. ٣٨٣-٣٨٤: ابن الشجاع، نفسه، ص. ١١: السراج، نفسه، مجلد ٢ ص. ١٩٨: برنشفيك، نفسه، ج. ١، ص. ٢٢-٢٢١.

-المعاصر له- ان السلطان أبا العباس «رتب مجلساً جليلاً، واختص خواص في مجلسه يتسابقون إلى نصحه»، ويضيف بأن الشيخ أبا عبد الله بن تافراجين كان يقرر في ذلك المجلس أصول المسائل السلطانية، ويذكر المعادة فيما التبس منها إذا سئل عنها بعقل وافر...هـ (١).

وفي عهد السلطان أبي فارس عبد العزيز بن أبي العباس الحفصي (٧٩٦-٨٣٧هـ/١٣٩٤-١٤٣٤م) استمر بنو تافراجين في خدمة الدولة الحفصية، فيفيد ابن القنفذ بأن السلطان أبا فارس عقب استيلائه على قسنطينة في رمضان سنة ٧٩٨هـ/١٣٩٥م عين عليها مولاة القائد نبيل، وجعل على قصبتها الشيخ أبا الفضل أبا القاسم بن أبي عيد الله بن أبي العباس أحمد بن تافراجين، الذي لازم القصة وحسنت سيرته في أهل قسنطينة، فحظى بحبهم لتدينه وعدله، ولكنه لم يستمر بها طويلاً إذ لم يلبث أن بعثه السلطان أبو فارس في سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٧-١٣٩٨م رسولا إلى بجاية (٢)، ثم عاد عقب ذلك إلى تونس واستقر بها في خدمة السلطان أبي فارس (٣).

وبوفاة الشيخ أبي القاسم بن تافراجين - على الأرجح في أواخر عهد السلطان أبي فارس - ينتهي دور تلك الأسرة التافراجينية الشهيرة، التي لعبت دوراً مهماً وخطيراً في تاريخ الدولة الحفصية خاصة خلال القرن ٨هـ/١٤م.

(١) الفارسية، ص ١٧٧.

(٢) كانت إمارة بجاية في تلك الفترة تحت حكم القائد طاهر ثم عزله السلطان أبو فارس، وولى عليها أخاه الأمير زكريا (صاحب برنة) ثم استولى عليها الأمير أبو عبد الله محمد بن أبي يحيى زكريا (ابن عم السلطان أبي فارس) الذي عقد عليها لابنه محمد المنصور. غير أن السلطان أبا فارس تمكن من استردادها وولى عليها ابن أخيه الأمير أبا العباس أحمد بن أبي عبد الله الحفصي. انظر: (الزركشي، نفسه، ص ١٢٤؛ برنسيك، نفسه، ج ١، ص ٣٤٣).

(٣) الفارسية، ص ١٩٤؛ الزركشي، نفسه، ص ١١٩؛ مبارك الميلي، تاريخ الجزائر، ج ٢، نشر مكتبة النهضة الجزائرية، ١٣٥٠هـ، ص ٣١٥؛ الطوى، نفسه، ص ٥٥٩؛ برنسيك، نفسه، ج ١، ص ٢٣٤.

**ثبت بأسماء ما وصل إلينا من أفراد أسرة بني تافراجين،
من خلال المصادر العربية**

- ١ - أبو حفص عمر بن تافراجين (جد بني تافراجين) (ت سنة ٥٤٩هـ).
 - ٢ - عبد الله بن عمر بن تافراجين (كان حياً سنة ٥٥٨هـ).
 - ٣ - عمر بن عبد الله بن تافراجين (كان حياً سنة ٥٩١هـ).
 - ٤ - عبد العزيز بن تافراجين (كان حياً سنة ٦٢٦هـ).
 - ٥ - عبد الحق بن تافراجين (كان حياً سنة ٩٨١هـ).
 - ٦ - أبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن تافراجين (ت سنة ٧٠٣هـ).
 - ٧ - محمد بن عبد العزيز بن تافراجين.
- { عاشا في أواخر السابع وأوائل الثامن الهجري
- ٨ - عمر بن عبد العزيز بن تافراجين
 - ٩ - أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد العزيز بن تافراجين (ت ٧٤٧هـ).
 - ١٠ - أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد العزيز بن تافراجين (ت سنة ٧٦٦هـ).
 - ١١ - محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد العزيز بن تافراجين (ت سنة ٧٧٨هـ).
 - ١٢ - أبو عبد الله بن أبي العباس أحمد بن تافراجين (كان حياً سنة ٧٩٦هـ).
 - ١٣ - أبو الفضل أبو القاسم بن أبي عبد الله بن أبي العباس أحمد بن تافراجين
- عاشا في أواخر القرن الثامن وأوائل التاسع الهجري.

مصادر ومراجع البحث

أولاً - المصادر العربية القيمة ،

١ - ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، لتحقيق محمد محمد شمام ، المكتبة العتيقة ، ط ٢ ، تونس ، ١٣٨٧ هـ .

٢ الإدرسي : صفة المغرب وبلاد السودان ومصر والأندلس من كتاب نزهة المشتاق ، طبعة ليدن سنة ١٨٩٤ م .

٣ - ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار ، تحقيق طلال حرب ، بيروت سنة ١٩٨٧ .

٤ - البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، نشر مكتبة المثنى ببغداد ، بدون تاريخ .

٥ - البليق : أخبار المهدي بن تومرت ، طبعة باريس ، نشر ليفي برونسسال سنة ١٩٢٨ ، طبعة عبد الحميد جاجيات ، الجزائر سنة ١٩٧٤ .

٦ - ابن تغزي بردي : المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، ج ٢ ، تحقيق د. نبيل عبد العزيز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٥ .

٧ - التجاني : رحلة التجاني ، المطبعة الرسمية ، تونس ، ١٩٥٨ .

٨ - ابن الحاج النخيري : فيض العباب وأغاضة قدامح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب ، تحقيق محمد بن شقرو ، ط ١ سنة ١٩٨٤ .

- ٩ - ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ج ٩ ،
طبعة دار الجبل ، بيروت ، بدون تاريخ .
- ١٠ - الحميري : الروض المغطر في خبر الأقطار ، تحقيق
احسان عباس ، بيروت ، ط ٢ ، ص سنة
١٩٨٤ .
- ١١ - ابن الخطيب : ربحانة الكتاب ومجعة المتناهب ، تحقيق عبد
الله عتار ، نشر مكتبة الخالجي ، القاهرة ،
١٩٨٠ .
- ١٢ - ابن الخطيب : النسخة البيرية في الدولة النصرية ، طبعة لجنة
إحياء التراث بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٠ م .
- ١٣ - ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً ،
منشورات دار الكتاب اللبناني المصري ،
١٩٧٩ م .
- ١٤ - ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، طبعة بيروت ،
١٩٧٩ م .
- ١٥ - ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، تحقيق علي عبد الواحد
وإني ، نشر دار نهضة مصر ، ط ٢ ، سنة
١٩٨١ م .
- ١٦ - الرصاع : فهرست الرصاع ، تحقيق محمد العناني ، نشر
المكتبة العتيقة ، تونس ، بدون تاريخ .
- ١٧ - الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق
محمد ماضور المكتبة العتيقة ، تونس ،
١٩٦٦ .
- ١٨ - الراج الأندلسي : الحلل المنسوبة في الأخبار التونسية ، تحقيق

الحبيب الهبلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت
١٩٨٤.

١٩ - الملاوي الناصري : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق
جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار
البيضاء ١٩٥٤.

٢٠ - ابن الشاع : الأدلة البينة التوراتية في مفاخر الدولة
الحفصية، تحقيق الطاهر المعموري، الدار
العربية للكتاب، ليبيا - تونس ١٩٨٤.

٢١ - ابن فضل الله العمري : وصف إفريقيا والمغرب والأندلس من كتاب
مسالك الأبصار، تحقيق حسن حسني عبد
الوهاب، مطبعة النهضة، تونس، بدون تاريخ.

٢٢ - القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، نشر دار
الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٩٨٧.

٢٣ - ابن القنفذ : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق
محمد النيفر وعبد المجيد التركي، الدار
التونسية للنشر، تونس ١٩٦٨.

٢٤ - محمد أبو واس الجريسي : مؤنس الآحية في أخبار جربة، طبعة تونس،
١٩٩٦.

٢٥ - المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق
محمد سعيد العريان، نشر المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٣.

٢٦ - المقرئزي : أسلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٢، تحقيق
د. محمد مصطفى زيادة، ط ١، القاهرة
١٩٥٨.

٢٧ - المقرئ : نفع الطب من غصن الأندلس الرطيب.

لمحقق يوسف البقاعي، بيروت، ١٩٨٩.

٢٨ - مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار، لمحقق سعد

زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة
الاسكندرية، ١٩٥٨.

٢٩ - النباهي المألوف : تاريخ قضاة الأندلس المعروف بالمرقبة العليا.

طبعة بيروت، ١٩٨٣.

٣٠ - ألونشريسي : المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي

علماء إفريقية والأندلس والمغرب، نشر وزارة
الأوقاف المغربية ١٩٨١.

٣١ - يحيى بن خلون : بقية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد

الواد، لمحقق عبد الحميد حاجيات، الجزائر
١٩٨٠م.

ثانياً ، المراجع العربية الحديثة والعربية .

١ - أحمد مختار العبادي (دكتور) : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس،

الطبعة الأولى، الاسكندرية، ١٩٦٨م.

٢ - برنشفيك : تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ترجمة

حمادي الساحلي، نشر دار المغرب الاسلامي،
بيروت، ١٩٨٨.

٣ - جورج مارسه : بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الاسلامي،

ترجمة محمود هيكل، منشأة المعارف،
الاسكندرية، ١٩٩١.

٤ - جوليان : تاريخ إفريقيا الشمالية، ج ٢، تعريب محمد

مزالى والبشير بن سلامة، تونس، ١٩٧٨.

٥ - حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٦.

٦ - السيد عبد العزيز سالم (دكتور) : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، نشر مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، بدون تاريخ.

٧ - رضوان البارودي «دكتور» : جزيرة جربة التونسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٠.

٨ - روجي لي تونزو : حركة الموحدين في المغرب، ترجمة أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ١٩٨٢.

٩ - عبد العزيز بنعبد الله (دكتور) : الموسوعة المغربية للأعلام الشربة والحضارية (معلمة المدن والقبائل)، مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية، ١٩٧٧.

١٠ - عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب، ج١، المطبعة المكية، الرباط، ١٩٦٨.

١١ - عز الدين موسى (دكتور) : دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٣.

١٢ - مبارك الملي : تاريخ الجزائر، ج٢، نشر مكتبة النهضة الجزائر، ١٣٥٠.

١٣ - محمد التوني (دكتور) : علاقات المغرب بالشرق ايام السلطان أبي الحسن، بحث بكتاب ورفات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، الرباط ١٩٧٩.

١٤ - محمد العروسي الطوي : السلطنة الحفصية، نشر دار المغرب الاسلامي.

بيروت، ١٩٨٦.

١٥ - محمد الهادي العامري : تاريخ المغرب العربي، نشر الشركة

التونسية، تونس، ١٩٧٤.

١٦ - هوبكنز : النظم الإسلامية في المغرب في القرن

الوسطى، ترجمة أمين الطيبي، نشر الدار

العربية للكتاب، ليبيا- تونس، ١٩٧٧.

حائلاً، المراجع الأجنبية .

- 1- Aguado Bleye : Manual de historia de España, t.1, Madrid, 1947.
- 2- Ahmad Muhtar Al-Abbadi: El reino de Granada en la epoca de Muhammad V, Madrid, 1973.
- 3- Alarcon Y Gracia de Linares: Los documentos arabes diplomaticos de archivo del la corona de Arogon, Madrid, 1940
- 4- Alfred Bel, Les Benau Ghanya, paris, 1903.
- 5- Amari: Diplomi arabi dell archivio Fiorentio, Firenze, 1863.
- 6- Cronica de la corona de Arogon Y Granada, Barcelona, 1908.
- 7- Encyclopedia of Islam, Art., Tunis, vol, IV. London, 1913.
- 8- Gaspar Remiro: Correspondencia diplomatica entre Granada Y Fez en el siglo XIV, Granada, 1910.
- 9- Gimenez Soler: La Corona de Arogon, Barcelona, 1908.
- 10- Isidro delas Cagigas: Un traite de paix entre le roi pierre IV de Aragón et le Sultat de Tunes, Hesperis, XiX, 1934,
- 11- Josefa Mutge Vives: Algunas noticias sobre la relaciones entre la corona catalano-aragonesa Yel reino de Tunes, en. Actas del coloquio, Madrid, 1988.

- 12- Mas Latrie: Traites de paix et du commerce concernait les relations des chertiens avec les arabes de L'Afrique Septentrionale au moyen-age, paris,1886.
- 13- Terrasse: Histoire du Maroc., Casablanca.